النقد السياسي في شعر الجواهري

الأستاذ المساعد الدكتور
علي كاظم جواد سميسم
جامعة الكوفة ـ كلية الفقه

النقد السياسي في شعر الجواهري

الأستاذ المساعد الدكتور
علي كاظم جواد سميسم
جامعة الكوفة ـ كلية الفقه

التمهيد:

لابد لنا أنّ نمرُّ بمفاهيم العنوان قبل الولوج في بحثنا وهي: السياسة، والشّعر والتعريف بشخصيّة الجواهري. ولشهرة بعض هذه المفاهيم سنمرّ ببعضها بما يفيد تمهيداً لهذا البحث.

مفهوم السياسة:

لقد تنبّه الفلاسفة المسلمون لهذا العلّم وساروا على خُطا الفلاسفة اليونانيين في عدِّها من أقسام الفلسفة المدنيّة العشرة، بعد أنّ قسّموا الفلسفة على فلسفةٍ نظريّة وفلسفة عمليّة، والفلسفة النظريّة تنقسم على أقسام ولأقسامها أقسام فرعيّة.

ولذا عرّفها الشيخ الزنجاني: ((فلسفة السياسة: وهي تبحث في نشوء الأنظمة السياسيّة وارتقائها وعناصر أنواعها وفي العلائق بين السلطة الحاكمة وبين الأمة، وفي العلائق بين الحكومات بعضها حيال بعض))[١].

وقد أبدع كثير من المفكرين الإسلاميين في هذا الفرع من الفلسفة وعدّ بعضُ الباحثين (أن ابن الربيع في زمن المعتصم هو رائد الفكر السياسي)[٢] وعدّ آخرون الفيلسوف الفارابي صاحب المدينة الفاضلة هو رائد الفكر السياسي[٣] ولغيرهم رأي آخر.

والسياسة في الفكر الحديث: ((المشاركة في شؤون الدولة، وتوجيهها أشكال نشاط الدولة وأهداف هذا النشاط ومضمونه وتتضمّن السياسة مشكلات بنية الدولة وإدارة البلاد وقيادة الطبقات، ومشكلات الصراع الحزبي.. الخ. وتنعكس المصالح الأساسية للطبقات والعلاقات بين الطبقات في السياسة. كذلك تعبر السياسة عن العلاقات بين الأمم والدول (السياسة الخارجية). وتنشأ العلاقات بين الطبقات - وبالتالي بين سياساتها، عن وضعها الاقتصادي، والأفكار السياسيّة...))[٤]، وقد ارتبط هذا العلِّم بالعلوم الأخرى

وكان أشد ارتباطا بعلّم الاقتصاد وعلّم الاجتماع. وما يهمنا هنا ارتباطه بعلّم الاجتماع: وهو العلّم الذي يدرس سلوك الإنسان ويحلّل ظواهر علاقاته الاجتماعية مع أفراد جنسه وعلاقة الجماعات مع بعضها[٥]، ويتطوّر ليدرس أدقّ التفاصيل البيئية والعادات العرفيّة وآثار الحالة السياسيّة على ما تقدم في علّم الاجتماع، فنشأ علّم السوسيولوجيا في المجتمع الغربي ليضع الدراسات والحلول و مواجهة ما مرّ به هذا المجتمع من أزمات ومشكلات[٦].

ومن المجتمعات التي درسها هذا العلّم هو المجتمع العراقي، وأشار إلى الصراعات في داخل هذا المجتمع ((والتي نشأت من تأزم علاقات الترابط والتعاون والعمل ضد مصلحة المجموع، وكذلك ظهرت بين الأفراد أنفسهم في محاولة لجني المصالح على حساب الآخرين أوبين السلطة وأفراد المجتمع، فضلاً عن سجايا بعض الأفراد في المجتمع العراقي، والمتمثّلة بعدم التنظيم وحُبّ التكالب وتحطيم الآخرين))[٧]، وبالأحرى الصراع بين السُّلطة والشَّعب أو بين الأغنياء والفقراء، بل انجر حتى إلى المؤسسة الدينيّة في النجف الأشرف فكان لها صدى في شِّعر الشّاعر وصراع على المستوى الفكري والثقافي والاقتصادي فكان الخلل واضحا بالتوازن داخل النظام الاجتماعي مما أدى إلى صراع حزبي وسياسي.

و البحث يمرُّ في السياسة التي عاصرها الجواهري لا غير. وهي ليست بالقصيرة فقد أدرك الاحتلال العثماني وما فيه - وإنّ كان صغيراً- وأدرك مشكلة الدستور العثماني في سنة ١٩٠٨ وقبله الإيراني في سنة ١٩٠٦ ومشكلة المشروطة والمستبدة وما لها من أثر كبير في الواقع النجفي وأدرك حقبة الاحتلال الإنكليزي فأدرك ثورة النجف عام ١٩١٤ بقيادة السيد الحبوبي الذي كان معجبا به وأدرك ثورة ١٩١٨ و ثورة العراق الكبرى في عام ١٩٢٠ وأدرك ولادة أوّل حكم ملكي في العراق وولادة الدستور والمجالس النيابيّة والاتفاقات الدوليّة وولادة الأحزاب الوطنية وما لها وما عليها فأدرك انتفاضات الجماهير المطالبة بحقوقها ونموّها السياسيّ والفكريّ، وأدرك هزات النجف الأشرف للقضايا العربيّة والإسلاميّة، وأدرك الحُكّم الجمهوري، والتبدلات الجديدة الوطنيّة، و الانقلابات السابقة له، واللاحقة حتى عصّر الطاغيّة، والحروب الدوليّة وانتفاضة الشَّعب، وقمعه، وغير ذلك حتى وافاه الأجل في دمشق.

وما لكلِ ما ذكرنا من أثر في فكّرِه، وتوجهه السياسيّ، وترجمته شِّعراً يُضاف له طموحات الشاعر المعروفة من طموحات شخصيّة وسياسيّة واجتماعيّة فوثّق لنا تاريخاً

سياسياً واجتماعياً بتفاصيل دقيقة، وعَكس لنا صورة هذه الفترة الطويلة من حياته بدقائقها المختلفة بهواجسها بمأساتها بألمها بفرحها بجمالها بحزنها بآثارها الثقافيّة والذوقيّة والفنيّة بتعلقها بالقديم بتأثرها بالجديد، والتجديد فكان له موقعه في قَلْبِ التأريخ فكان شاهداً على قَرن مِن الزمن من عمر العراق الحديث، وكأنه يستعيد موقع راوي الملاحم في ثقافة الإغريق كما وصفه جبرا ابراهيم جبرا[٨].

وتجنّب البحثُ الامتداد إلى حياة الشاعر، ودراسة أغراضه الشعريّة، وتجنّب الدراسات الفنيّة، وإبداعه في الاستعمالات اللغويّة، وسموّه في عمود الشعر عامّة، وما في قصائده من صور شعرية إبداعية، وما تمتّع به من خيال سامق لأنها ليست من مضامين بحثنا. وقد دُرست في رسائل، وأطارح، وبحوث، ومقالات، ومؤلّفات عديدة.

ونأخذ من شاعرنا الذي رشّحه الرّصافي رباً للشّعر بقوله:

أقول لربِّ الشِّعر مهدي الجواهري إلى كم تناغي بالقوافي السواحر[٩]

ما يتعلق ببحثنا فقط، وهذا تطلّب منّا - إجراءً- اقتباس مقاطع شعريّة لا تخلوّ من الطول لإتمام الفكرة وبيان الدّلالة.

المبحث الأوّل

بذور الوعي السياسي عند الجواهري

لقد اطّلع الجواهري على الحضارة العربية، وأدبها: بشعرها، ونثرها، وقصصها التاريخية، من العصر الجاهلي، والإسلامي والأموي، والعباسي، وما بعده عِبر كُتب الأدب، وكُتب التأريخ. وبعد اطلاعه على المجلّات، والصحف القادمة من الدول العربية الناطقة بالسياسة، والأدب، والتأريخ، التي شَكّلت أساساً مهماً في الوعيّ السياسيّ لدى الجواهري يُضاف له الآتي:

إنّ السياسة قديمة بقدم الإنسان وهي تتطوّر بتطوّر وعيّ الإنسان وفكره ونموّه الحضاريّ. من سياسة الحصول على المأكل، والمشرب، واتقاء البرد، والحرّ إلى تأسيس الدول، والممالك، والحضارات، والشّعر لسان الأمم فمنذ ولادة الشّعر على ألسنة الموهوبين وُلِد الشّعر السياسيّ، وما وصلنا موثّقاً من المرويات، والمصادر يؤكد ذلك. فمنذ العصر

الجاهلي كان الشّعر السياسيّ لا ينفك عن الشّعر العربي راصداً الأحداث موثقاً إياها بإبداع سامي جامعاً بين تقريريّة الموضوع، وايحائيّة التعبير عنه، والشّاعر هو الذاب عن القبيلة ظالمة أو مظلومة، إذ يقول دريد بن الصمة:

وما أنا إلّا من غزية إنّ غوتْ غويتُ وإنّ ترشُد غزيةُ أرشدُ[١٠]

وسما الشّعر السياسيّ العربيّ منذ أنّ بكى صاحب امرئ القيس - أقدم شعراء العربية - (٥٢٠ - ٥٤٠م)وهُما يستعينان بالقيصر على قومهما، وقد قتلوا والد امرئ القيس واغتصبوا مُلّكه بيد أنّ استعانته بالأجنبي آلت إلى الأسى، والمرض، فصار ذا القروح، وأقام حيث يقيم عسيب ومات غريباً.

والسياسة هي التي قتلت طرفة بن العبد (٥٤٣ - ٥٦٩م) وهو يحمل كتاب قتله بيده.

والسياسة جعلت عمرو بن كلثوم ت(حوالي ٦٠٠م) يجهل فوق جهل الجاهلين، وينذر الملك بأن يورد الرايات بيضاً، ويصدرهن حمراً قد روينا، ليُطّلعنا على إحدى صور الصراع بين المثقف والسُّلطة، جامعاً الإبداع بعنفوان العزّ والأنفة العربيّة حين قال:

ملأنا البَرّ حتى ضاق عنا وظهر البحر نملأه سفينا

إذا بلغ الفطام لنا رضيعٌ تَخرُّ له الجبابرةُ ساجدينا[١١]

والسياسة ذاتها هي التي روّعت النابغة الذبياني ت ٦٠٤م، ولاحقه الرُّعب، فلم يجد ملجأ غير قصيدته، حتى قال النُّقاد القدامى:(أشعر العرب النابغة إذا رهب).. وقد دسَّ له خصومه على قصيدته، ما يُثير غضب الملك (الزَّوج) بعد أنّ بَدت زوَّجتُهُ في قصيدة النابغة عاريةً مُفعمةً بالجِنس، يَذكر كلَّ تفاصيل جسدها، فذكر بطنها، وعكنها، ومتنها وروادفها، وفرجها، ومنها:

سقطَ النَصيفُ ولم تُرد إسقاطَهُ فتَناولَتهُ واتَّقتنا باليدِ

بمخضَّبٍ رَخصٍ كأنّ بنانَهُ عَنَمٌ يكادُ من اللطافةِ يُعقَدُ

حتى يقول:

وإذا لَمستَ لَمستَ أجَثَمَ جاثِماً متحيِّزاً بمكانهِ ملءَ اليَدِ... الخ[١٢]

لتفعل السياسةُ فِعلّتها. لا لتُطيح برئيس لجّنة التحكيم في عُكاظ الذي ليس من شأنه ذلك بل لتُبعد ذُبيان عن المكان المتقدّم في مسرح السياسة.

والسياسة محور شعر زهير بن أبي سلمى (؟ - ١٣هـ/٥٠٢ - ٦٠٩م)، وهو أوّلمن نعرف له شعراً جسّد دعوة الأمة إلى السلام، ومجّد صوت العقل، والذين تداركوا عبساً وذُبيان بعد ما تفانوا، ودَقّوا بينهم عِطرَ مَنشم. فمدح هرم بن سنان والحارث بن عوف في حركتهم الإصلاحية إذ يقول:

تداركتما الأحلاف قد ثلّ عرشُها وذبيان قد زلّت بأقدامها النعلُ[١٣]

فكان الشّعر السياسيّ الجاهليّ يدور مدار الفكر، والوعيّ المعرفيّ آنذاك فهو وعيٌّ قبليّ يدور مدار الغلبة، والعزّة بقوة السلاح. والشّاعر هو ناصر القبيلة، والمفاخر بها إذا غَلبت والمسوّغ لها، والمعتذر عنها إذا غُلِبت فهو نافذة القبيلة الإعلاميّة والمحرّك لحماستها ومذيع مفاخرها ومكارمها.

حتى نزول القرآن الكريم فاعترى العرب أمراً جديداً. والناس يشدُّها الجديد بين مُحارب له، ومؤيد على طول تاريخ البشريّة. والجديد هنا في غاية الأهمية إذ يمسّ القمّة في الوعيّ البشريّ، هي العقائد وما يدين بها، ويتبتل، فحريّ بهذا الأمر أنّ يُزلزل الناس في تلك الحقبة فكان من أوّل المهتزّين له الشّعر، فكان من الشعراء من يذبُ عن الدعوة الجديدة موضحاً معالمها، ومن الشعراء معانداً لها متمسكاً بدين آبائه وأجدادهفكان حسّان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة من الذابين عن الإسلام وقابلهم من قُريش الشاعر عبد الله بن الزبعرى، وأمثاله، ولذا قال الجاحظ متسائلاً: ((فلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنابغة الجعدي (لا يفضض الله فاك) ولم قال لكعب بن مالك (ما نسي الله لك مقالك ذلك) ولم قال لهيذان بن شيخ (رب خطيب من عبس) ولم قال لحسّان لما هيج الغطاريف على عبد مناف (والله لشعرك أشد عليهم من وقع السهام في غبش الظلام)...))[١٤].

وبهذه الحقبة تطوّر الشّعر موضوعياً فدخلت إليه المضامين القرآنية الكريمة، والأحاديث النبويّة الشريفة، بيد أنّها ضَعُفت فنياً إذ ضعف الخيال والإيقاع الغنائي والتوجّه الذاتي المنبعث من الروح، وابتعدوا عن كلّ ما يذكرهم بالجاهلية، والأوثان حتى الأساليب الفنيّة الرقيقة.

وبعده جاء العصر الأمويّ وارتفع النزاع العقائديّ المُرتكز على نزاع حزبي إلى أوجه فكان للأمويين شعراؤهم، وللخوارج شعراؤهم، وللعلويين شعراؤهم، وللزبيريين شعراؤهم فكان الأخطل ناطقاً رسمياً باسم بني أمية، والكميت شاعر الشيعة، والطرماح شاعر الخوارج، وابن قيس الرقيات شاعر الزبيريين، وكان للنقائض مكانتها السياسيّة، ومن أهمها نقائض جرير والفرزدق، وبهذه الحِقْبةعادت العصبيّة القبليّة، وارتفع المستوى الفنيّ للشعر بعد أنّ انفتح المجال للشعراء أنّ يتغنوا بمفاخرهم وغزلهم، وكلّ ما كان ممنوعا عليهم في صدر الإسلام.

حتى جاء العصر العباسي فتطوّر الوعي السياسيّ ودخلت الفلسفة، والمنطق، وكتب الحضارات الأخر، فاطّلعوا عليها، وتزودوا منها، وكتبوا على مِنوالها، وارتفع التصوف والعرفان، والزهد بقبال ارتفاع التهتك، والمجون، والغناء، والطرب. ازدهرت الحضارة العربيّة الاسلاميّة بتناقضها الفكري وسموّها المعرفيّ فظهرت الأحزاب والكيانات المعارضة بتنظيمات أدقّ من العصور السابقة فكان للشِّعر السياسي مكانه الأرقى في هذا الميدان.

حتى مجيء العصور المظلمة فضعُف الشِّعر شكلاً، ومضموناً، وانكفأ الشعراء ينوءون بالفقر، والمرض، والتخلّف فكان الشِّعر السياسيّ لا يتعدى الشكوى، وبث المرارة، والشجون بصور مختلفة. حتى بداية العصّر الحديث وظهور مدرسة الإحياء في مِصر يقابلها الإحياء بالعراق، وفي النجف الأشرف خاصة. ومن الجدير ذكره إنّ النجف الأشرف لم تمرّ بفترة مظلمة علمياً، بل نالها ما نال البلدان الأخرى من الفقر والمرض أما العلم، والأدب فكان في تطوّر مطرد ففي تلك الحقبة المظلمة على البلدان الأخرى تنوّرت النجف بالتجديد الفقهيّ، والأصوليّ، والكلاميّ، والفلسفيّ، وكانت زاخرة بنواديها الأدبية، والعلمية.

ففي عام ١٩٠٠م أو ١٨٩٩م ولد الجواهري، و شَهِد هذا القَرن في بداياته تبدّلات سياسيّة، وحراك سياسيّ شبابيّ كبير جداً فقد ولد الدستور الإيراني عام ١٩٠٦م، ومن شدة تأثير هفي واقع النجف الأشرف كان الأطفال يُمثّلون الطرفين المتنازعين - المشروطة والمستبدة- في أزقة النجف الأشرف، وشَهد هذا العصر ولادة الدستور العثماني عام١٩٠٨م، فالجواهري وإنّ لم يبلغ مرحلة النضوج الفكري بعد إلّا أنّ لهذه الأحداث الجسام أثرَها في شخصيته، ووعيه وقد فتح عينه على أحداث خطيرة رسمت تأريخ الشرق المعاصر، وتمثّلت في غروب شمس الإمبراطورية العثمانية، وبزوغ نجم الدول الاستعمارية

الكبرى، حتى نصل إلى عام ١٩١٤م ويبدأ الانكليز بالزحف على العراق من جنوبه، ويتهيأ الرجال للجهاد بقيادة مجتهد فقيه، وعارف، وشاعر وسيم، وكان من أصدقاء أبيه، وكان الجواهري يهابه ويجلّه لشِعره، وهيبته، ووسامته[١٥] فعرِف أنّ الشِّعر ليس أدباً وحسب، بل سياسة، وقيادة، ونضال، وجهاد، ووعيّ بواقع الشعوب.

وشهِد أوّل تنظيم سياسيّ في تأريخ العراق عام ١٩١٧م على يد الشيخ محمد جواد الجزائري، والسيد علي بحر العلوم. وكان تنظيماً إسلامياً قومياً (جمعية النهضة الإسلامية)[١٦] تتوّج بثورة نجفية (انتفاضة) على المحتل في عام ١٩١٨م، وقائد هذا التنظيم عالم فقيه، ولُغويّ، وأستاذ في الفلسفة، وشاعر أيضاً، فعرِف أنّ الشاعر أولى بالثورة، والحراك السياسي من غيره لأنّه أرهفهم حساً، وأشدّهم وعياً. وشَهِد ولادة أوّل تنظيم حزبيّ إسلاميّ في تأريخ العراق الحديث على يد الشيخ عزّ الدين الجزائري.

حتى يدرك ثورة العراق الكبرى عام ١٩٢٠م فوقف إلى جانب الشَّعب في نضاله ضد الاستبداد، والاستعمار فدخل بوعيه الناضج معترك السياسة،فتفتّح وعيّ الجواهري أكثر، فكان الشأن السياسيّ موضع اهتمامه، وصاحبه في مساره الشعري، ليُصبح علامة فارقة في شعره عامّة. وينبغي على الباحث أنّ لا ينسى الأثر البيئي، والأسري في الشاعر، فهو من مدينة النجف الأشرف مدينة الفقه، والأصول، والفلسفة، والعربيّة، والأدب. فالنجف تتنفَّس شعراً، وتتحسَّس كلّ ما يدور حولها على الصعيد السياسيّ، والاجتماعيّ، وتُلقي بضلالها، وآثارها على السياسة. فهي تحتضن المرجعيّة العُليا، وبيدها القيادة الدينيّة. ومريديها، وأتباعها في عموم العالم الإسلامي فكان لها الأثر البالغ في الأحداث. وهو سليل أسرة دينيّة مرموقة فهو سليل المراجع والفقهاء، وهو الذي لبس العمَّة، وسار في دروب الفقه، و قفز منه إلى الشِّعر، والأدب ليكون كلَّ كيانه. وكان لكلّ ذلك آثاره في اللاوعي على فكره وسلوكه.

وكانت أولى قصائد الجواهري العلنيّة هي قصائد سياسيّة، إذ كتب قصائد عديدة في ثورة العشرين التي شهدها وهو شاب، وأشهرها قصيدته المطوّلة (الثورة العراقيّة) التي كتبها عام ١٩٢١، أي بعد عام واحد من الثورة، ويقول فيها:

لعل الذي ولّى من الدهر راجعُ فلا عيش إنّ لم تبق إلا المطامعُ

غـــرورٌ يُمنينـــا الحيـــاةُ وصـــفوُها ... ســـرابٌ وجنّـــات الأمـــاني بلاقـــعُ

نُسِّـــرُ بزهـــو مـــن حيـــاةٍ كذوبـــةٍ ... كمـــا افتـــرّ عـــن ثغـــر المحـــبّ مخـــادعُ

هـــو الـــدهر قارعـــه يصـــاحبك صـــفوهُ ... فمـــا صـــاحب الأيـــام إلا المُقـــارعُ

إلى مَ التـــواني في الحيـــاةِ وقـــد قضـــى ... علـــى المتـــواني المـــوت هـــذا التنـــازعُ

ألم تـــرَ أنّ الـــدهر صـــنفان أهلُـــهُ ... أخـــو بطنـــة ممـــا يعـــدّ وجـــائعُ

إذا أنـــت لم تأكـــل أكلـــتَ، وذلـــةٌ ... عليـــك بـــأن تُنســـى وغـــيركَ شـــائعُ

تحـــدّثُ أوضـــاع العـــراق بنهضـــةٍ ... ترددهـــا أســـواقُها والشـــوارعُ

وصـــرخة أغيـــارٍ لإنهـــاض شـــعبهمْ ... وإنعاشـــهِ تســـتكُّ منـــها المســـامعُ[١٧]

فالجواهري ((استطاع أنّ يَجمع إلى وعيه التاريخي وعياً فنياً عالياً، فقصائده تفعل بالمتلقي فعل السّحر الخالص، ولقد شكّل قاموسه الشعريّ خلفيّة قويّة لشعراء الرفض والثورة في الخمسينات وعلى رأسهم السياب))[١٨].

المبحث الثاني

خصائص شعره السياسيّ

تدور حول الآتي:

الحملة على الاستعمار والتنديد بفظائعه.

التغني بالحريّة والاستقلال الحقيقي.

نقد السُّلطات واغتصاب حقّ الشعوب.

النقد الاجتماعي السياسيّ.

الدعوة إلى الحكم الدستوريّ.

الإشادة بالأبطال والزعماء والشهداء.

مديح الزعماء وهجائهم.

المطالبة بحقوق الشَّعب.

المطالبة بحقوق المحرومين.

فضح العمل السياسيّ المشبوه، وغيرها.

صوّر الشاعر الحِقبة السياسيّة التي عاشها طيلة قَرن من الزمان تقريباً تصويراً دقيقاً بكلّ انفعالاته بسلمه، وحربه، بهدوئه، ودمويته. لذا يقول عدنان عباس: ((إنّ ما يُسجل لقصيدة الجواهري أنّها تحولت في عصورها الذهبيّة إلى وثيقة سياسيّة واجتماعيّة لأحداث عامرة بتقلباتها وبأسها كما يمكن القول أنّ بنائها العروضيّ والإيقاعيّ، والبلاغيّ، وثراء مضامينها، وتكامل عضويتها، وامتدادها التراثي وإخلاصها له، وتفردها المعاصر يجعلها تقطع شأواً بعيداً كظاهرة لا تقل عن الظاهرة (المتبنية) أنّها بحق ظاهرة القَرن العشرين الشعريّة))[١٩] فكان الجواهري النّقاد الأكبر في تلك الحِقبة، وكانت لقصائده الأثر البالغ في تحرّك الجمهور وشدّ أزر المناضلين والوطنيين، فيقول عزيز الحاج:((وكانت قصائده الثوريّة تزيد من قدرة صمودنا في سجون الخمسينات وأواخر الأربعينات.. وعندما كنت أتوقع إعدامي في ربيع ١٩٦٩كتبت وصيّة قصيرة انتهت بتحية خاصة للجواهري.. من شعره الثوري: إن دماء الضحايا فمٌ، و فضيّق الحبل واشدد من خناقه مو، و ثورة كردستان))[٢٠].

فالشاعر كان طموحاً في الولوج إلى عالم السياسة، فصدمت السياسةُ مثاليتَه الأفلاطونية. والسياسة إنّ غاص بها حرمته من أهم لذاته وهو الوقوف مع الجماهير والمناضلين، ودهاء السياسة ومؤامراتها صدمت بساطته، وعفويته، وبوحه. وكلّ هذه من أضداد عالم السياسة فرجع إلى موقعه الحقيقي وعَرِف نفسه فاختار الوقوف مع الجماهير فيقول:

((دخلتُ السياسة - إنّ صحت هذه التسمية - من أبوابٍ أخرى، من باب حُبّ المشاركة للناس، ولو كُنتُ مخلوقاً لغير هذا المفهوم من السياسة، أيّ أنّ أكون لبنةً في عمارة الحاكمين لعرِفتُ طريقي إليها، بيد أنّي مخلوق لأكون هذا الذي أنا عليه الآن))[٢١] ليصدح بحقوقهم المهضومة، ويدخل مع انفعالاتهم لحدّ السذاجة - مع وضد - ويواسي الوطنيين والمناضلين والثوار فكان السجناء السياسيون العراقيون في الخمسينات يرددون باعتزاز وحماس قصيدته الموجهة إليهم:

سـلام علـى مثقـل بالحديـد ويشـمخ كالقائـد الظـافر[٢٢]

وكانت مأساة عمره إذ انزلق يوماً عن سرب الجماهير ومن أشدّها هماً عليه (قصيدة التتويّج) التي ألقاها في تتويّج الملك فيصل الثاني في مايس ١٩٥٣م فغضبت منه الجماهير والوطنيين - الذين طالما آزرهم وآزروه - فردّوا عليه رداً قاسياً من قصيدة واحدة، فكابر الشاعر ودافع عن نفسه وهجا من هجا إلّا أنّه يتمزّق في داخله فيعترف في مذكراته ويُسمي ذلك الموقف بـ(الهاوية) ويعبّر عنه (اغتصب ضميره) والتي أوردها بعنوان (تِهْ يا ربيع) التي لم يوردها في ديوانه، ومنها:

يـا أيهـا الملـك الأغـرّ تحيـةً مـن شـاعرٍ بـاللطفِ منـكَ مؤيّـدِ

أنا غرسُكم أعلى أبـوك محلّـتي نـبلاً، وشـرّف فضـلُ جـدّك مقعـدي

فيقول: ((في أوجّ العزّ وأوجّ الشموخ.. ومرحلة التفاف الجماهير حول قادتهم... وفي مرحلة تهيُّب الحاكمين - وحتى الطغاة منهم... من مسّ أي مواطن.. في هذا الجوّ وفي فترةٍ لم يمرّ عليّ أعزّ منها منذ بداية الأربعينيات تراني أنحدر انحداراً لم أنحدر مثله طيلة حياتي، والأكثر إيلاماً في ذلك الانحدار أنّني أردتها بمحض إرادتي وبدون أيّة ظروف ضاغطة وبدون مساومة وبدون أيّ مقابل... إنها زلة العمر التي ظلت عالقة بي طيلة فترات طويلة حتى بعد أنّ (كفّرت) عنها وبعد أنّ نهضت من كبوتها وأنا أخلّف (غاشية الخنوع) ورائي، ومع هذا فقد أوقعتُ نفسي في عذاب الضمير، ولاحقت نومي بالكوابيس، وهوت بإرادتي إلى ما لا أشاء لها.. ألّا وهي (قصيدة التتويّج)..))[٢٣].

ولقد عرِف الجواهري منذ نعومة أظفاره دور الكلمة وأثرها في المتلقي وأثرها في الأحداث ولاسيما الكلام الفنيّ وتاجه الشِّعر فعرِف ميادينه وعرِف صولاته وأثره في السامعين عامّة والعرب خاصّة الذين ما جاءهم نبيهم ﷺ بمعاجز مادية، بل بمعجزةٍ لُغويّة، بمعجزةِ الكلمة، الكلمة التي وقف عندها أفذاذ العرب يقلّبونها بين السّحر، والكهانة، ليعترفوا بذوقهم الأدبي العالي أنّه ليس من كلام البشر؟ فتاق الجواهري لصناعة الأحداث بالقول الفنيّ المخيّل معتمداً على مخزونه الشعريّ العربي الواسع الممتد من أوائل الشعر الجاهلي إلى صدر الإسلام إلى الأموي إلى العباسي إلى العصور المظلمة إلى نهضته بمدارس كلاسيكية ورومانسية وواقعية وما بعدها ليكون من عمالقة النهضة جامعاً بين الكلاسيكية

والواقعية قافزاً على الرومانسية مائلاً بذائقته الفنيّة إلى الشّعر العباسي عامّة، وإلى المتنبي، والبحتري، وأبي تمام خاصّة لذا يقول الدكتور إبراهيم السامرائي: ((ولما كتب قصيدته في المعري:

قـف بـالمعرة وامسـح خـدّها التربـا واسـتوح مـن طـوّق الـدنيا بمـا وهبـا

قال السامرائي: قلت للجواهري: التّرب هذه أخذتها من أبي تمام الذي يقول في قصيدته عن فتح عمورية :

مـا ربـعُ ميّـةَ معمـوراً يطيـف بـهِ غـيلانُ أبهـى رُبى مـن خـدّها التَّـربِ

قال الجواهري: نعم، فإنّ أبا تمام، والبحتري، والمتنبي أصدقائي أعيش معهم يومي وليلي، مادة هذه الأسرة الشعريّة لا تفارقني))[٢٤].

وعلى الرغم من أنّ مادته الشعراء القدامى إلّا أنّه تخطاهم ((على شدة شبهه بهم، كانوا، في أحسن الأحوال يتبعون الحدث، فهم منه على شيء من البعد أمّا هو فليس لصيقة بالحدث وحسب يرده منعلٍ ويرده من داخل، بل أنّه يفعل فيه، ويكاد يوجهه. فإنّ كانوا هم شعراء القول فإنّه شاعر الفعل.هم يفنون من القاعة لمن هم على خشبة المسرح أما هو فانه يسرح قوله على الخشبة نفسها))[٢٥].

المبحث الثالث

الجواهري والصحافة

ولا نريد للبحث أن يدخل بكلّ ما يتعلق بصحافة الجواهري الذي يتطلّب بحثاً مستقلاً، بل بقدَّر ما يتعلق ببحثنا.

الجواهري عَشق اثنين: الشّعر، والصحافة، وكليهما صوتاً مدوياً عند الجواهري وهو الذي جعل من صُحفه وعاءً لشّعره فكانت صحافته مثل شّعره تصرخ وتنفعل، وتُغلق وتُفتح، لتُغلق مرة أخرى.

و نقده السياسيّ هو الذي تمكّن من أنّ يجمع بين الصحافة التقريرية، والشّعر المحلّق الخياليّ بين الواقعيّة، والصور الإيحائيّة بين لغة الحقيقة، ولغة المجاز.

عرِف الجواهري الصحافة وأحبها وبكّر لها منذ أنّ عهِد على نفسه كتابة الملصقات

الداعية للثورة وتعليقها على باب الصحن العلويّ، وأحبّ الصحف أكثر عندما نُشرت قصائده في الصُحف العراقيّة، والعربيّة في السعودية، ولبنان، ومِصر[٢٦]، ليرتبط بالصحافة أكثر حين كلّفه الملك فيصل الأوّل - وهو يعمل في البلاط الملكي - بتلخيص أهم أخبار الصحف وتقديمها إليه، ويستقيل الجواهري في عام ١٩٣٠ وقال للملك عن استقالته ((لكي أكون صحفياً، لأنّني ذو هواية تمتدّ جذورها بعيداً في عالم الصحافة))[٢٧]. ويبدأ بصحيفته (الفرات) المدعومة من قبل الملك بـ(٧٠٠)روبية وأمَر نوري السعيد كافة المتصرفيات بمساعدة جريدة الفرات لتكون صوت البلاط. وإذا بها تتحول - طبيعيا - في توجهاتها نحو الجماهير مبتعدة عن القصر لتكون من أهم الوثائق التاريخية فيكون لهذا الفعل ردوده، ومنها إغلاق الجريدة بحجج منها: نشره قصائد مخالفة للتقاليد، والأعراف، ومنها: إثارة الطلاب في المدارس، والكليات بسبب مقالته (اسمعي يا وزارة المعارف يا وزارة الجبابرة والقزامزة). وقد تعطّلت الجريدة بقضية مرفوعة من قِبَل (نوري ثابت) مدير المدرسة الثانوية المركزية فحكمت المحكمة على الجواهري بغرامة (٣٠٠) روبية. وحاول الجواهري إعادة فتح الجريدة، ولكن دون جدوى...

وفي عام ١٩٣٦ أصدر الجواهري جريدته الثانية باسم (الانقلاب) وقد صدرت أعدادها الأوّلى ناطقة باسم صاحب الانقلاب (بكر صدقي)، وافتتح أكثر من عدد بقلم (مصطفى علي) الاسم المستعار للجواهري.

ثم انقلبت الجريدة على الانقلاب وحسب ادعاء الجواهري لتكون إلى جانب الجماهير، وبعد مقالته (ماذا بعد ستة شهور؟) يقول الجواهري: ((اختلقت لتوقيفي وسجني مبررات على يد (صالح جودت)))[٢٨]، أو بسبب قصيدته التي عاد بها إلى الشعب وانقلب على الانقلاب (تحرك اللحد):

إنّ السماء التي أبديتَ رَونقها ... يومَ الخميس بدا في وَجهها كَدَرُ

تَهامَس النفَرُ الباكون عَهدَهُم ... أنّ سوفَ يرجِعُ ماضيهم فَيزدهِر

تَجري الأحاديثُ نكراءً كعادتِها ... ولم يُرَعَ سامرٌ مِنهُم ولا سمر

فحاسِب القومَ عن كلٍّ الذي اجترحوا ... عما أراقوا وما اغتالوا وما احتَكروا

أصبحتُ أحذرُ قولَ الناسِ عن أسفٍ ... من أنّ يروا تِلكمُ الآمالَ تندَثِر

تَحــرَّكَ اللَحــدُ وانشــقَّت مُجــدَّدةً أكفــانُ قَــومٍ ظننّــا أنَّهــم قُبِــروا[٢٩]

فاستبدل اسم جريدته من (الانقلاب) ليصبح اسمها جريدة (الرأي العام) وقد أخذت مكانها المنشود، وفي ذات يوم جاءه(الخشّالي) المسؤول عن القلم السري في متصرفية بغداد ليخبره أنّه سجّل اسمه بنفسه في القائمة السوداء، وسيُقبض عليه بتهمة التعاون مع رشيد عالي الكيلاني مع أنّ الجواهري ذكر أنّه من ألدّ أعداء حركة الكيلاني، وأحسّ الجواهري أنّ هذه العملية ستكون انتقاماً بسبب مقال نشره على الصفحة الأولى من جريدة الرأي العام قبل شهر، وعند مراجعته للسيد الصدر أكّد له الخبر، وطلب منه مقابلة صالح جبر، وفي الموعد قابل الجواهري صالح جبر ليعلِمه أنّه على القائمة السوداء بسبب قصيدته التي أذيعت في إذاعة برلين بصوت يونس بحري وهي في ثورة العشرين ومنها:

لعــلَّ الــذي ولى مــن الــدهر راجــع فــلا عــيش إن لم تبــق إلا المطــامع

جــرى ثــائرا مــاءُ الفــرات فمــا ونى عــن العــزم يومــا موجــه المتــدافع

حــرام علــيكم ورده مــا تزاحمــت علــى ســفحه تلــك الوحــوش الكــوارع

والقصيدة في العشرينات، والزمن الآن في الأربعينات... وهذا كان دفاع الشاعر عن نفسه[٣٠].

أغلقت جريدة (الرأي العام) أكثر من مرة، ثم يعاد فتحها، وذات يوم نشر الجواهري قصيدة (طرطرا) وفيها أبيات سخرية، وتهافت الباعة على مقر الجريدة ولشدة الإقبال بيعت بعض النسخ منه بدينار بدلا من عشرة فلوس، ورُفع الأمر إلى عبد الإله، فتنصل من شكواهم بمهارة لكن دَويّ القصيدة كان مؤثراً، وشديداً حتى أنّها عجّلت باستقالة الوزارة، وهكذا تندّك الصحافة في شِعر الجواهري، وتكون حاضنته بكلّ انفعالاته، وتمرّده، وصرخته الجماهيريّة العالية حتى توقفها ليستمر شِعره بغيرها.

المبحث الرابع

تمرّده النقديّ (سياسياً واجتماعياً)

لقد صنعت منه الحادثات شاعراً متمرداً انفعالياً، وما أثّرت فيه سنواته العشر الأولى من حياته على حياته التسعينية كلّها ليتكوّن متمرداً على الأعراف البالية، والتقاليد المتهرئة.

وكان للسياسة حظها الأوفر من تمرّده الكائن في لا وعيه الذي يطغى فيصل إلى وعيه الواضح فيعبّر عنه في قصيدته (المُحرّقَة)التي كتبها في عام ١٩٣١:

وما أنتَ بالمُعطي التمرَّدَ حقه ... إذا كنتَ تخشى أن تجوع وأن تعرى

وهل غيرُ هذا ترتجي من مَواطنٍ ... تُريد على أوضاعِها ثورةً كُبرى[٣١]

وأن معظم تمرّده الشعري لا يخلو من تهكّم، وتندّر، وسخطّ حدّ الضحك. إذ يُوصف التهكّم بأنه ((طريقة أو خاصية مميزة في التعبير، مزاج أو نغمة خاصة تبدي ما تقصده لا بطريقة مباشرة، ولكن من خلال خاصية في النظر إلى الأشياء والشعور بها والتعبير عنها بطريقة تجمع بين الجِدّ والهَزل))[٣٢]، واللّذة، والألم، والمعرفة، والجهل[٣٣].

ويمتزج هذا التمرّد في دمه، وفكره فيكون تمرّداً نقدياً على التقاليد، والأعراف والخروج على كلّ الخطوط الحمراء فتأتي قصيدة (ثورة الوجدان)[٣٤] عام ١٩٢٧ ليفتتح نقده السياسيّ والاجتماعيّ بقوله:

سكتُّ حتى شكتني غُرُّ أشعاري ... واليومَ أنطِقُ حُرّا غيرَ مهذارِ

سلّطتُ عقلي على مَيلي وعاطفتي ... صبرا كما سَلّطُوا ماءً على نار

العُذرُ يا وطنا أغليتُ قِيمتَهُ ... عن أن يُرى سِلعةً للبائعِ الشَّاري

مَحِّص بِعينَي نزيهٍ غيرِ ذي غَرَضٍ ... حالَ العراقِ وخلِّدهُ بأسفارِ

إنَّ القصورَ التي شاهَدتَ قائمةٌ ... على أساسٍ من الإجحاف مُنهارِ

خَلِّ الخُوانَ وإن راقَت مَطاعمُهُ ... وبت بليلةِ ذاكَ الجائعِ العاري[٣٥]

وفي عام ١٩٢٩ أُفتتحت أوّل مدرسة للبنات في النجف الأشرف فاعترض علماء الدين عليها فجاء نقده الاجتماعي الحاد واقفاً بوجه المؤسسة الدينية فكانت قصيدة (الرجعيون)[٣٦] ومنها:

ستَبقى طويلاً هذه الأزماتُ ... إذا لم تُقَصِّرْ عُمرَها الصَّدَماتُ

إذا لم يَنَلْها مصلحونَ بواسلٌ ... جريئونَ فيما يَدَّعونَ كُفاةُ

سيبقى طويلاً يحمِلُ الشعبُ مُكْرَهاً ... مَساويءَ مَن قد أبقتِ الفَترات

حتى يقول:

وخلفَهُـمُ الأسـباطُ تتـرى وِمنـهُمُ لُصـوصٌ ومنـهم لاطـةٌ وزُنـاةُ[٣٧]

فيُدهشك نقده اللّاذع الناشئ من مرارة شديدة عاشها الشاعر، وأدركها فتفجرت فناً مثيراً منطلقاً من سخريته إلى عالم النقد لأسس اجتماعية كاشفاً عن الفوارق الطبقية فاضحاً استغلال أقدس ما في الوجود ألّا وهو الدين مثيراً في المتلقي القيم العليا ودنوّ الواقع المعاش.

ويصفها أحد الباحثين بأنها ((تحفةٌ أدبيةٌ رائعة، تستهويك مع ما فيها من قذع وسباب لتسلسل الفكر فيها، ولأنّها في صميم الموضوع، وبنفس حرّةٌ تريد الخَلاص من سيطرة الطبقة الروحية على المجتمع العراقي الذي ابتلى بها))[٣٨].

فثارت ثائرة النجف، والكاظمية، وسامراء، واستدعاه الملك وعاتبه بشدة[٣٩].

ومن خروجه على الأعراف، والتقاليد تأتي قصيدة (النزغة أو ليلة من ليالي الشباب)[٤٠] والتي مطلعها:

كـم نفـوسٍ شـريفةٍ حسَّاسـة سـحقوهنَّ عـن طريـقِ الخساسـة

حتى يقول:

إستفيقي لا بدَّ أن تُشبهي الدَّهرَ انقلابا وأن تُحـاكي أُناسـه

لـكِ في هـذه الحيـاةِ نصـيبٌ أغنميـهِ انتـهازةً وافتراسـه

فالليـالي بلـهاءُ فيهـا لمـن يُحسـن إبساسـةً لهـا إسلاسـه[٤١]

ومن قصائده في النقد والوقوف مع الشَّعب وآلامه (ساعة مع البحتري في سامراء)[٤٢]:

أسـدَى إليَّ بـكِ الزَّمـانُ صـنيعا فحمِـدْتُ صـيفاً طَيِّبـاً وربيعـا

إلى أنّ يقول:

رفعـوا القصـورَ علـى كواهـلِ شـعبِهم وتجـاهلوا حقّـاً لـه مشـروعا

ساسـوا الرعيّـةَ بـالغرورِ سياسـةً لا يرتضـيها مـن يسـوسُ قطيعـا[٤٣]

وتأتي قصائده الخوارج على الأعراف، والتقاليد، ومن أهمها قصيدته (جربيني) وعلى ما فيها من الغزل الفاضح لم تنجو من النقد السياسيّ، والاجتماعيّ، ومطلعها:

جـرّبيني مـن قبـلِ أنْ تـزدَريني ... وإذا مـا ذممـتِني فـاهجرِيني

ويَقينـاً سـتندمينَ علـى أَنـكِ ... مـن قبـلُ كنـتِ لم تعـرفيني[٤٤]

وعلى ذلك استدعاه الملك وعاتبه وطلب منه أنّ يذهب إلى الأمير علي الغاضب من القصيدة ليعتذر منه. وفيها البيت الذي يقول:

أنـا ضـدُّ الجمهـور في العـيشِ ... والـتفكيرِ طُـرّا وضـدُّه في الـدِّينِ

التقاليـدُ والمـداجاةُ في النـاسِ ... عـدوٌّ لكـلِّ حُـرٍّ فطـين[٤٥]

ومنها قصيدة (سلمى على المسرح)، أو (سليمة مراد)[٤٦]. وقد غنّت في ملهى (الجواهري النصراني) الشهير، وهو يرمز بالنقد السياسيّ إلى خطاب الباججي أمام المندوب السامي البريطاني، وقد عرّض بثورة العشرين، وطلب أنّ يكون العراق جزءاً من (الكومونولث)، فينتقد ويعارض وهو في ضمّن وصفه، وغزله بالمغنية المشهورة.

إلعـبي فـالهوى لَعِـبْ ... وابعثـي هِـزَّةَ الطَـرَبْ

الى أن يقول:

أنـت سـلمى أجَـلُّ مِـن ... ألـفِ عبـدٍ لألـف رَبّ

ولهـم باسمِأمّـةٍ ... سُـحِقَت غايـةُ الأرب

تركـوا الجـذع للـبلا ... د واختصـوا بالرُطـب

أبعـديني عـن السياسـ ... ـة والغـشِّ والنَصَـب

ولكـي نُحـرق الجميـ ... ـع هَلُمـي إلى الحطـب[٤٧]

وقصيدته (عريانة)[٤٨] ومطلعها:

أنـتِ تـدرين أنـني ذو لُبانَـه ... الهـوى يسـتثيرُ فيَّ المَجانَـهْ

وقـوافٍ مثـلَ حُسـنك لمـا ... تتَعـرَّينَ حـرّةٌ عُريانـه[٤٩]

ومن نقده الاجتماعيّ السياسيّ قصيدته(حالنا أو في سبيل الحكم):

لقد سائني علمي بخُبثِ السرائرِ ... وأني على تطهيرِها غيرُ قادرِ

وآلمني أني أخيذُ تفكُّرٍ ... بكلِّ رخيصِ النفسِ خبٍّ مُماكِر

ولم يبقَ معنى للمناصب عندنا ... سوى أنها ملكُ القريبِ المصاهِر

وإن ثيابَ الناس زُرَّت جميعُها ... على عاهةٍ إلّا ثيابَ المؤازر

وقد يُضحِكُ الثكلى تناقضُ شارع ... قوانينُه مأخوذةٌ بالتناحر

وكانت طباعٌ للعشائر ثُرتجى ... فقد لُوِّثَت حتى طباعُ العشائر[٥٠]

وتأتي قصيدة (طرطرا) في آذار ١٩٤٦م بنقد تهكّمي رفيع، وبرمزية عالية على بعض الساسة ما زجاً الموروث القديم بتهكّمه معنىً، و بأسلوبه فنّايسير بحديث مأساوي خالطاً الذات بالموضوعيّة كدأبه في شِّعره عامّة، وبحضور مُعبّر عن حساسيّة العلاقة بين الواقع والمثال[٥١]،متلمساً أصولها في أرجوزةٍ تَمثّل بها عبد الله بن عباس حين خرج الإمام الحسين (عليه السلام) من المدينة قاصداً الكوفة حينما رأى عبد الله بن الزبير يتحيّن الفُرصة للوثوب على الحجاز فقال متمثلاً:

يا لكَ مِن قبّرةٍ بمَعمَرِ خلا لكِ الجوُّ فبيضي واصفري

ونقري ما شئت أن تنقري[٥٢]

وينسب أصل هذا الرجّز لطرفة بن العبد[٥٣]:-

و جاءت على وزنها القصيدة (الدبدبية) العباسية الساخرة على بحر الرجّز لتقي الدين ابن المغربي(٦٨٤هـ) والتي منها:

أي دبدبهْ تدبدبي أنا علي بن المغربي

تأدبي ويحك في حق أمير الأدبِ

أنا الذي أُسّدُ الشرى في الحرب لا تحفل بي

أنا الذي كل الملو ك ليس تخشى غضبي

فمـــــن رأى للهـــــذيا ن موكبـــــا كمـــــوكبي

أنـــا امـــرؤ أنكـــر مـــا يعـــرف أهـــل الأدبِ

ولي كـــلام نحـــوه لا مثـــل نحـــو العـــربِ

لكنـــــه منفـــــردٌ بلفظـــــه المهـــــذبِ

يصـــافع الفـــرّاء في النحـــو بجلـــد ثعلـــبِ

ويقصـــد التثليـــث في نتـــف ســـبال قُطـــربِ[٥٤]

وقصيدة (طرطرا) الجواهريّة [٥٥] تقول:

أيْ طرطـــــرا تطرطـــــري تقـــــدِّمي تـــــأخَّري

تشـــــيَّعي تســـــنَّني تهـــــوَّدي تنصَّـــــري

تكـــــرَّدي تعـــــرَّبي تهـــــاتري بالعُنصـــــر

تَعممَّـــــي تَبَرنطـــــي تعقَّلـــــي تســـــدَّري

كـــــوني إذا رُمـــــتِ العُلـــــى مـــــن قُبُـــــلٍ أو دُبُـــــرِ

صـــــالحةً كصـــــالحٍ عـــــامرةً كـــــالعُمري

فحـوّل الجـواهري بعبقريتـه هـذه السـخرية البسـيطة إلى نقـد لاذع كاشـفاً المغالطـات الاجتماعيّة والسياسيّة، وواقـع العـراق من حيـث المذاهب،والأديان، والقوميـات، وهـذه التعددية التي تحتاج إلى قيادة تنتبه لعواملها المشتركة بينها بدون تضخم الأنا السائدة عند الحاكمين.لذا كانت القصيدة منذ البدء مستندة إلى التهكّم الذي يفوق التندّر والسخريّة، إنّ لم يكن من النمط الهجائي المكشوف غير المبطن بأيّة زخارف[٥٦] ويمزج الماضي بكلّ ما فيه من ترابط تهكّمي بحاضره سواء أكان تهكّم طرفة، أو تهكّم ابن عباس، أو تهكّم المغربي. في تناص تهكّمي رائع إذ يختمها بقوله:

أيْ طرطـــرا ((يـــا لَـــكِ مِـــن قُـــــــبرَّةٌ بمَعمَـــــــرِ

خـــلا لـــك الجـــوُّ)) وقـــد طـــاب ((فبيضـــي واصـــفِري))[٥٧]

((ونقِّـــري)) مـــن بَعـــدِهم ((مـــا شـــئت ان تُنَقِّـــري))

قـــــد غَفَـــــل الصّـــــيادُ فيْ لَنَـــــدَنَ عنـــــك فابشِـــــري[٥٨]

ومن الجدير ذكره من أنّ الشّعر السياسي يمتاز بالتقريريّة، والخطابيّة إلّا أنّ الجواهري حوّله إلى مشاعر فيّاضة مفعمة بخيال الرومانسيّة. وما ذاك إلّا بقدرته العجيبة في اقتناص الصور الإبداعية الفنيّة، وهذه من ميزات، ومختصات الجواهري الفريدة فكانت تلك القصائد السياسيّة، و المفترض أنّ تكون جامدة، وإذا بها تطير وتحلّق على ألسنة الناس، والمناضلين خاصّة لخفّتها، وجمالها، وتُردد على ألسنتهم وكأنّها الأمثال العربية. ويقول الشاعر العراقي الراحل السيد مصطفي جمال الدين: ((نحن في الأربعينيات من هذا القرن ـ العشرين ـ ما كنا نجد شاعراً سياسياً يُخضِع السياسة والفكر السياسي للأسلوب الفني الحديث مثل الجواهري، فكان شِعره في الأربعينيات مدرسة جديدة في الأدب غير موجودة من قبل))[٥٩].وهذه السنوات الأخيرة من الحُكم الملكي كانت شديدة على العراقيين يصفها الجواهري ((من أسوأ الفترات في تاريخ العراق الملكي. فإضافة لسلسلة الأحكام العرفيّة والمشانق في الشوارع كانت سلسلة المعاهدات المُذلّة التي تُكبّل مستقبل العراق.))[٦٠]، وقال عنها (حنا بطاطو): ((يكفي هنا أنّ أشير إلى أنّ بغداد لم توضع خلال العقدين الأولين من العهد الملكي أيّ من عام ١٩٢١وحتى ١٩٤١، للأحكام العرفيّة ليوم واحد في حين أنّ هذه الأحكام العرفيّة أعلنت أربع مرات في الفترة بين ١٩٤١و ١٩٥٨ وطبقت في المدينة على مدى مجموعه ٢٨٤٣ يوماً، أيّ على مدى ثمانية سنوات من السنوات السبع عشرة الأخيرة من حياة العهد الملكي))[٦١].

ومن نقده **لسياسة الحكم الملكي:** قصيدة (مؤتمر المحامين) التي ألقيت في الحفلة التي أقامتها نقابة المحامين العراقيين في بغداد يوم ٢٩ تشرين الثاني عام ١٩٥١ تكريماً لوفود المحامين العرب. وعلى أثرها أقامت الحكومة العراقيّة دعوى على الشاعر، وعلى مدير الجريدة. ومنها:

ســـــلامٌ علـــــى غمـــــراتِ النضـــــال ســـــلامٌ علـــــى ســـــابحٍ مـــــاهرِ
عنَـــــودٍ يُصـــــارعُ لُـــــجَّ الخُطـــــوبِ وصـــــخَّابَ آذيِّهـــــا الزاخـــــر
ســـــلامٌ علـــــى مُثقـــــلٍ بالحديـــــد ويشـــــمَخُ كالقائـــــدِ الظـــــافر
كـــــأنَّ القيـــــودَ علـــــى مِعصـــــميه مفـــــاتيحُ مُســـــتقبَلٍ زاهـــــر

أبُـــثّكُمُ: لا أحِـــبُّ الشَّـــكاةْ ولكنَّهـــا همسَـــةُ الحـــائر
الى كـــم تُـــداري شـــيوخُ العـــراق وأقطـــابُ مِحـــوره الـــدائر
عُجـــولاً تُربَّـــى لمُســـتعمرٍ ويُلعـــن في عِجلـــه الســـامري[٦٢]

المبحث الخامس

مطالبته بحقوق الشعب

لقد واكب الشاعر نضال، وجهاد الشَّعب العراقي منذُ العشرينيات، ووعى ما قبلها وبلغ تألّقه الذروة في الأربعينيات، وكان بن الأحداث، وبن بيئتها، وبن دروبها، ولم يكن في أبراجٍ عاجيّة ينظرُ الأحداثَ عن بُعد، بل في لُبّها، ومن صانعيها، والمحرّضين عليها فجاءت بعاطفةٍ تفور تَعرِف معنى الدم، وتتحسّس الآلام، وتتوجّع، بل نالت من الشاعر كثيراً فقد اختطفتْ أخيه شهيداً، وعرّضته للاعتقال، والتشريد، وإغلاق صُحفه، وقطعتْ رِزقه حتى وفاته في المنفى.

يقول:

شـــعبٌ يُجـــاعُ وتُســـتدرُ ضـــروعُه ولقـــد ثُمـــارُ لتُحلَـــبَ الأغنـــامُ
وتَعَطَّـــلَ الدســـتورُ عـــن أحكامِـــهِ مـــن فَـــرطِ مـــا ألـــوَى بـــه الحُكّـــامُ
فـــالوعيُ بَغـــيٌ والتحـــرُّرُ سُـــبّةٌ والهَمْـــسُ جُـــرمٌ والكـــلامُ حَـــرامُ[٦٣]

وفي عام ١٩٥١ تأتي قصيدة (تنويمة الجياع):

نـــامي جيـــاعَ الشَّـــعبِ نـــامي حرسَـــتكِ آلِهـــةُ الطَّعـــامِ
نـــامي فـــإنْ لم تشـــبَعي مـــن يقظَـــةٍ فمِـــن المنـــام
نـــامي علـــى زُبُـــدِ الوعـــود يُـــدافُ في عَســـلِ الكـــلام
نـــامي تَـــزُرْك عـــرائسُ الـــ أحـــلام في جُـــنّحِ الظـــلام[٦٤]

والقصيدة الثانية (أطبق دجى)

أطْبِـــقْ دُجـــى أطبِـــق ضَـــبابُ أطبـــق جَهامـــاُ يـــا سَـــحابُ

أطبـــق علـــى مُتَبلِّديـــ ـــن شـكا خُمـولَهمُ الـذُّباب
لم يَعرِفـوا لـونَ السـماء لِفَـرْطِ مـا انحنَـت الرقـاب
أطبـق علـى المِعـزى يُـرا دُ بهـا علـى الجـوعِ احـتِلاب[٦٥]

أما الثالثة وقد نشرها عام ١٩٥٢ وهي بعنوان (ما تشاؤون) ومطلعها:

مـا تَشـاءونَ فاصـنعوا فُرصـةٌ لا تُضَـيَّعُ
فُرْصـةٌ أن تَحَكَّمـوا وتَحُطّـوا وترفعـوا
وثـدِلّوا علـى الرِّقـاب وتُعطـوا وتَمْنَعـوا[٦٦]

أو ما جاء في مقصورته التي نظمها في صيف ١٩٤٧م. - الّتي لم نقف عندها طويلا لكثرة ما تناولها الباحثون - ولولا الريح، ونهر دجلة الذي ابتلع منها ما يقارب مِئة بيت لوصلت إلى أربع مِئة بيت، وقد اهتم بها الباحثون كثيراً. وهي التي مزجت بين وجدانية الجواهري، والأنا المتبرمة من الظلم، والتعسف، وبين السياسة، والوطنية إذ حملت الأنا كلّ هموم الجماهير، ومظلوميتهم بمقصورةٍ فاقت ما قبلها من المقصورات كماً وفناً، مثل (مقصورة ابن دريد ت ٣٢١هـ والتي بها اشتهر وبلغت - ٢٣١- بيتا [٦٧]، ومقصورة المتنبي ت٣٥٤هـ وبلغت - ٣٦ - بيتا [٦٨]، ومقصورتي الشريف الرضي ت ٤٠٦هـ وبلغت الاولى -٥٦ - بيتا والثانية بلغت - ٦٢ - بيتا[٦٩]) ((فالجواهري بمقصورته هذه يعيش في أعماق الحدث السياسيّ والاجتماعيّ، يتفاعل معه خارجياً، و داخلياً. إنّه {بطل}، وليس شاعر{القول}، إنّه {بطل} الحدث، أو الأحداث بمثاليته المطلقة، ووعيه الشعري الأصيل))[٧٠]

إذ يقول:

بـرغمِ الإبـاء ورغـمِ العُلـى ورغـمِ أُنـوفٍ كـرامِ المَـلا
ورغـم القلـوبِ الـتي تستفيـ ـضُ عطفـاً تَحوطُـكَ حَـوطَ الحِمـى

حتى يقول:

زِقـاقٌ مـن الـرّيحِ منفوخـةٌ وإن ثَقَّـلَ منـها الخُطـى

وأشـــــباحُ نـــــاسٍ وإن أُهِمُـــــوا بـــــأنهمُ (قـــــادةٌ) في الـــــورى
ألم تـــــرَ أنَّـــــيَ حـــــربُ الطغـــــاةْ ســـــلمٌ لكـــــلَّ ضـــــعيفِ الـــــدَّما[٧١]

المبحث السادس

الوقوف مع الجماهير وتأليبهم

لقد وقف مع جمهوره من بدايات نضوجه الأدبي أيّ من بدايات العشرينات، واستمر إلى آخر عمره. ويأتي أوّل وصف صريح للجمهور في رثاء عبد المحسن السعدون في١٥تشرين الثاني ١٩٢٩:

الشـــعبُ محتشِـــدٌ هنـــا يتســـمَّعُ مـــاذا يقـــولُ الشـــاعرُ المتفجِّـــعُ
نِصـــفان بَغـــدادٌ فنِصـــفٌ مَحشَـــرٌ ســـاحاتهُ اكتظَّـــتْ ونصـــفٌ بَلقـــع
متمـــاوجُ الأشـــباحِ حزنـــاً مـــا بـــه إلا حشـــاً دامٍ ووجـــهٌ أسـفَع[٧٢]

وبما أنّ الجواهري أدرك قيمة الكلمة، وأثرها في صنع الأحداث، وتحفيز الهمم فكانت الكلمة أرقى حوافز الثورة، فهاجم أعداء الشعب بسيف الشّعر، إذ يقول:

أنا حتفُهم ألِجُ البيوتَ عليهمُ أغري الوليدَ بشتمهمْ والحاجبا[٧٣]

وخير نموذج لشّعره السياسي، ما كتبه في تلك المرحلة خلال وثّبة كانون الثاني ١٩٤٨، وكانت أوضاع الحكم العراقي مضطرباً حتى لدى البريطانيين إذ أبرقت وزارة الخارجية البريطانية في أيلول ١٩٤٣م تقول ((إن ضعف موقعنا في العراق على المدى الطويل يعتمد بلا شك على المدى الذي يبقى فيه بيضنا موضوعا بأكمله في سلة نوري غير المستقرة نسبيا))[٧٤]، فحفّز - الجواهري - المناضلين، وأجّج تقحمهم من أجل الحرية، والعدالة، والوثبة، والانتفاضة الجماهيرية لإسقاط المعاهدة (العراقية البريطانية) معاهدة (بورتسموث)[٧٥] التي هبّ فيها الشعب ضدها التي رأت فيها خرقاً للسيادة الوطنية، وتكريسا للاحتلال البريطاني فخرجت المظاهرات السلمية في بغداد والمدن العراقية الأخرى. لكن الحكومة قابلتها بقسوة متناهية حيث أطلقت الشرطة الرصاص الحي، وتفاعل الجواهري مع هذا الحادث الجلل، وكتب قصائده الخالدة ذات النفس الملحمي في رثاء أخيه جعفر، وبقية الشهداء، وندد بمن ارتكبوا ذلك العمل، ودعا إلي الاقتصاص منهم.

فتأتي قصيدة الجواهري (قف باجداث الضحايا)[٧٦]، ومطلعها:

حضَـــنَ (التـــاجُ) بنيـــه فتعـــالَى وتعـــالى حـــارسُ التـــاج جَـــلالا[٧٧]

وتأتي قصيدته المؤلمة المضرجة بدماء الشهداء (أخي جعفر)[٧٨]، ومطلعها:

أتعلـــــمُ أم أنـــــتَ لا تَعلَـــــمُ بـــأنَّ جِـــراحَ الضـــحايا فـــمُ[٧٩]

حتى يقول:

تَقَحَّـــمْ- لُعِنـــتَ أزيـــزَ الرَّصـــاصِ وَجـــرِّب مـــن الحـــظّ مـــا يُقسَـــمُ
فإمَّـــا إلى حيـــثُ تبـــدو الحيـــاةُ لِعينيـــــكَ مَكرُمـــــةً تُغـــــنَمُ
وإمَّـــــا إلى جَـــــدثٍ لم يكُـــــن ليَفضُـــــلَه بيتُـــــكَ المُظلِـــــمُ

وقصيدته (يوم الشهيد)[٨٠] ومطلعها:

يـــوَمَ الشَـــهيد تحيـــةٌ وســـلامُ بـــك والنضـــالِ تـــؤرِّخُ الأعـــوامُ[٨١]

وقصيدة (الشهيد قيس)[٨٢] ومطلعها:

يـــا قـــيسُ: يـــا لُطـــفَ الربيـــعِ ووقـــــدَ رَونقـــــه الشَـــــبُوبِ
يـــا قـــيس: يـــا همـــسَ الحبيـــب يـــــذوبُ في سَـــــمع الحبيـــــبِ

حتى يقول:

يـــا قـــيس: هـــل تَـــدري بمـــا خلَّفـــتَ بعـــدَك مـــن نُـــدوبِ
وبمـــا غَمَـــرتَ البيـــتَ مـــن فَـــيض الصَّـــبابة والوَجيـــب
وبمـــا جَلَبـــتَ لـــ (ثاكـــلٍ) حَـــرّى ومُحتَسِـــب حرَيـــب[٨٣]

وتأتي قصيدة (دم الشهيد)[٨٤]، و قصيدة (ذكريات)[٨٥]، وكلها من قصائد وثبة ١٩٤٨.

المبحث السابع

الهجاء السياسي

الهجاء والنقد السياسي متداخلان تداخل السياسة في شعر الجواهري عامّة وهو أغلب شعره السياسي ومنها: قصيدة (هاشم الوتري) في شهر حزيران عام ١٩٤٩م، وبها اعتقال

يريده الشاعر متخذاً مدح (هاشم الوتري) عميد كليّة الطب - بمناسبة انتخابه عضوا شرفا في الجمعية الطبية البريطانية - وسيلة للهجاء السياسي معرضاً بالعلاقة الخائبة بين الحاكم، والمحكوم، وتسليط الضوء على الظالم، والمظلوم، وهو يعلم ما سيقع عليه بعد الاحتفال، إذ يقول: ((كان الجو السياسي محتدما، وكنتُ أشعر أنّ الواجب يقضي بأنّ أحدّد موقفي.. كان كلّ شيء يدفع إلى الحدية: الجوّ السياسي.. المناسبة.. شخص نوري السعيد.. شخص الجواهري.. كنتُ موطنا نفّسي حتى الموت!))[٨٦] مُتسلّقا بمشاكسته المعهودة إلى هجاءه الخفيّ بطريقته السّاخرة المناهضة للوصايا على العراق، محتجاً على سياسة الوقوع في أحضان الأجنبي. يتسلق من المدّح إلى الهجاء السياسيّ ليُثير الرّعب في ممدوح، وهو يرى نفسه في لعبة المعارضة السياسيّة من حيث لا يعلم فيتلاعب بالكلمات من مخزونه اللّغوي الثّر. فاضحاً المداهنات السياسيّة لينتقل من الملاعبة الخفيّة إلى الإفصاح المتهكّم بسخّريّة حارّة ملتهبة من نار الواقع المأساوي ليُقرّع باللّغة الإبداعيّة، وحساسيّة الفن التآمر السياسيّ ليُبدع في تألق احتكاك النقيضين. الجواهري (صوت النضال)، وكاشف الواقع السلطويّ (العمالة) ((لأنّ أيّة نقيضة تحتوي على موقفين متصارعين، يقوم الاستفهام بتصّعيد حركة الخطاب التهكّميّ ليكون كالشُّحنة الدافعة التي تُلهب الأجواء بوميض متدفّق يتفجّر))[٨٧] وهو يقول:

والمغدِقونَ على (البياضِ) نعيمَهُم ... والخالعونَ على (السوادِ) زرائبا

والحاضنونَ الخائنينَ بلادَهُم ... حضَنَ الطيّورِ الرائمات زواغبا

يَستصرخونَ على الشّعُوب لُصوصَها ... في حينَ يَحتجزونَ لِصّاً ساربا

حتى يقول:

كذبوا فملءُ فمِ الزّمان قصائدي أبداً تجوبُ مشارقاً ومغاربا

تستَلُّ من أظفارِهم وتحطُّ من أقدارهِم وتثلُّ مجداً كاذبا

أنا حتفُهم ألِجُ البيوتَ عليهمُ أغري الوليدَ بشتمهمْ والحاجبا[٨٨]

ومنها: يدعوه السفير السوري لتأبين (عدنان المالكي) فألقى قصيّدته (خلّفتُ غاشية الخنوع ورائي) عام ١٩٥٦:

خلَّفــتُ غاشــيةَ الخنــوع ورائــي وأتيــتُ أقــبِسُ جمــرةَ الشــهداء

ودرجــتُ في دربٍ علــى عَنَــتِ السُّــرى ألــقٍ بنــور خطــاهمُ وضَّــاء[٨٩]

وعلى أثرها بقى في سوريا عام ونصف. وتُحذّره السفارة الألمانيّة من التصفيّة الجسديّة في نيسان عام ١٩٦١، ولا يستطيع المغادرة، وفي الوقت نفسه تأتيه دعوة من لبنان لتكريم الشاعر اللبناني الأخطل الصغير فتكون له بابا للخلاص ويقف في التكريّم ليقول:

لُبنــانُ يــا خمــري وطــيبي هلّــا لمســتِ حُطــامَ كــوبي

هلَّــا رَدَدْتِ لسُــهدِها عــيني وقلــبي للوجيــب

هلَّــا عطفــتِ ليَ الصِّــبا نشــوانَ يرفُــلُ بالــذُّنوب[٩٠]

ليغادر بعد أسبوعين إلى ميونخ ومنه إلى براغ ولتأتي قصائده الثائرة على الانحرافات السياسية وهي التي ذُكرت في ديوانه ومنها ما لم يُذكر من أمثال القصائد التي تتعلق بالقضية الكردية، فقد أسقطت من ديوان الشاعر عمداً سياسياً.

ليُسحب جوازه، بل ولتُسحب الجنسية منه. وبعد سنتين في الغربة ١٩٦١ و١٩٦٢ تأتي قصيدة (يا دجلة الخير)،وفي براغ بعد مقتل عبد الكريم قاسم يؤسس حركة الدفاع عن الشعب العراقي، افتتحت الجلسة بمقال وتلته قصيدته:

أمــين لا تغضــب فيــوم الطغــام آتٍ وأنــفٌ شــامت للرغــام[٩١]

وماتت الحركة باختلاف الجواهري مع جماعة العهد الجديد.

المبحث الثامن

المزاجية

بيد أن هناك من يتّهم الشّاعر بتقّلب المِزاج، أو الانتهازية عندما يجدوه يمدح الملكيّة ويهجوها، ويمدح من ينقلب عليها في أوّل انقلاب، ويهجوهم، ويمدح من ثار على الملكيّة واسقطها، ويهجوه، وهكذا...

والبحث لا يرى أيّ انتهازية، بل يعزوه لأمور منها:

الأوّل: مزاجية الشعراء، ولو راجعنا كبّار شعراء العربيّة لوجدناهم يتشابهون بمزاجيّة

متقلّبة تقريباً، وما ذلك إلّا لرهافة حسّهم ودقّة ملاحظتهم، ورومانسيتهم ومثاليتهم، ويريدون أنّ تسير الأقدار بما رسموه لها في وجدانهم فما أنّ يصدمهم الواقع حتى ينفجرون - ببضاعتهم - شعراً تَسّمع من خلال أصوات حروفه وكلماته صوت غضبهم وقرقعات التهويّل.

الثاني: أنّ الجواهري حرص طول حياته أنّ يكون مع الشعب، ويتنفس هواء الشوارع لا القصور، ويتفوّه بأمزجة شوارع العراق التي لا ترضى على حاكم إلّا نادرا.

الثالث: أنّ الشّاعر أراد من كلّ ثورة أنّ يتحقق له مأربان:

أحدهما والأهم: هو تحقّق العدالة الاجتماعية، وانصاف الفقراء، والمساكين.

والثاني: حصوله على منصب مرموق، ويراه في ضمّن العدالة الاجتماعية.

والشّاعر مُدّرك لهذا الانفعال، وهذا التقلّب المزاجي فيكتب حواراًفي عام ١٩٥٥ بعنوان {قال وقلت} وجاء فيها:

قـــال: لِلـــهِ أنـــتُمُ الشّـــعراءُ ... عـــددَ الرَّمـــلِ عنـــدكم أهـــواءُ

أمـــسِ والشـــعبُ كلّـــه معجـــزاتٌ ... لـــكَ واليـــومَ كلُّـــه أســـواء

قلـتُ: مهـلا يـا صـاحبي ظلمـاتُ اللـ ... ـــيلِ في عـــينِ حـــالِمٍ أضـــواءُ

أرأيـــتَ الكـــوّازَ أنفَـــسُ مـــا يمـــ ... ـــلكُ ذُخـــراً طـــينٌ خبيـــثٌ ومـــاءُ

صـــانعاً منـــه ألـــفَ شـــكلٍ(جِراراً) ... قـــائلاً في نُعُوتِهـــا مـــا يشـــاءُ[٩٢]

ويقول أحد خصومة عنه: الجواهري ((ثورة على كلّ شيء: على الحكم، وعلى المجتمع، وعلى نفسه هو. فلا يمكن أنّ يُرضيه شيء، ولا يشبعه مال، ولا أنّ يُهدّأ هجاه، ولم يعرف عنه أنّه استقر على وتيرة واحدة، أو رضي بالنعمة المتوافرة، أو ألف العيش الرتيب لفترة ما، فهو جذوة من أعصاب متوترة، وفكر جواب، وروح هائمة وراء المكانة الأعلى، وقلق متواصل))[٩٣].

ومما ذكرنا وغيرها تقلّب الجواهري مادحاً، وهاجياً وفي كلّ الأحوال هو أكبر المناصرين للشّعب، وصوته الهادر في تقلّبات الزّمان، ومن جهة أخرى كان أفضل مرآة

عرفها القَرّن العشرين للأحداث السياسيّة، والاجتماعيّة.. لذا قيل عنه: ((الجواهري رمز العراق كدجلة، والفرات، وكالنخلة الجنوبية، وجبال كردستان))[٩٤].

ولم يكن شاعر مناسبات كما يدّعي البعض، بل كان يستغل المناسبة، ويطلبها حثيثاً ليقف أمام جمهوره، ويُعبّر عن لواعجه، وأفكاره، ونقده السياسيّ، وهجائه اللّاذع من أجل المبادئ العالية لذا يقول في مذكراته: ((غير أنّ تكريمي قبل أيّ شيء يأتي في مثل هذه المناسبات، ليكون مدخلاً لإثارة الناس، ولمجرد مشاركتهم آلامهم، وعذاباتهم ولمجرد بغيتي في أنّ ينتفض المحكومون على الحاكمين، ولا يخطر على بالي سوى أنّ تكون القصيدة سبيلاً ومدخلاً إلى الجماهير لا أكثر لأقول الكلمة الجريئة الحق، ولأعبّر عن نفسي وخوالجها))[٩٥]. مثل قصيدته في رثاء عبد الحميد كرامي:

باقٍ وأعمارُ الطغاةِ قصارُ ... من سِفرِ مجدكَ عاطرٌ موارُ[٩٦]

ومن جهة حملته على الاستعمار والتنديد بفظائعه: كانت له قصائد عديدة وطويلة في هذا الباب قد ذكرنا أهمها فيما تقدم، وهو القائل:

أنا العراقُ، لسان يقلبهُ، ودميفراثه، وكيانيمنه أشطارُ[٩٧]

المبحث التاسع

توجهه القوميّ والإنسانيّ السياسيّ

ترسّخت الوحدة الوطنية، والدعوة للوحدة العربية، في مفهومه السياسي، ويعتبره من أهم حقوق الشعب العربي الذي فتّته الاحتلال للسيطرة عليه فيقول في قصيدة نظمها عام ١٩٢٤:

جدِّدي ذكرَّ بلادي إنّني بهواها أبدَ الدهرِ رَهينُ

أنا لي ديناں: ديںٌ جامعٌ وعراقي وغَرامي فيه دِين

هذه بغدادُ هذا كرخُها هذه دجلةُ والماءُ المَعين

دجلةٌ والنيلُ والشامُ معاً و(الصَّفا) تندُبُ شجواً و(الحَجون)

قُطّعت أوصالُها، وافترقت فشِمالٌ ليس تدري ويَمينُ[٩٨]

وما غاب عن فلك وعيه ما كان يدور في العالم العربي من تطوّرات سياسيّة واجتماعيّة شبيهة بما يجري في العراق، لأنّها كانت تناضل لتحقيق الاستقلال التام، وتطالب الحريّة والعدالة، والعيش الكريم لأفراد شعبها كافة فتجد في شعره صرخات المظلوميّة الفلسطينيّة، ونضال الشعوب العربيّة في سوريا ومصر والجزائر وغيرها، ضد الاحتلال والهيمنة الاستعماريّة. بيد أنّ بحثنا هذا لا يتتبع كلَّشّعر الجواهري في نضال الشعوب العربيّة والإنسانيّة، بل يأخذ نماذجاً للدلالة عليها.

وكان الشّاعر قد زار فلسطين عام ١٩٤٥ فاحتفلت به الأوساط الأدبيّة والثقافيّة هناك، وأقيم له حفل تكريمي في مدينة يافا فألقى فيه قصيدة (يافا الجميلة) ومطلعها:

بيافا يومَ حُطَّ بها الرِكابُ تَمَطَّرَ عارِضٌ ودجا سَحابُ

ويقول:

أحقا بينَنا اختلَفَتْ حُدودٌ وما اختَلفَ الطريقُ ولا التراب

ولا افترقَتْ وجوهٌ عن وجوهٍ ولا الضّادُ الفصيحُ ولا الكِتاب

فمِنْ أهلي إلى أهلي رجوعٌ ومن وطَني إلى وطني إياب[٩٩]

فكان شعره السياسي وهو أغلب نتاجه، صدى صادقا لروح الشعب كلّه، وأحلامه في الاستقلال والعيش بكرامة،وهو يُعبّر عن وعي قومي مُبكّر لم يتجسد بمعناه الأيديولوجي بين مفكري، وأحزاب العرب إلّا بعد عقود. وبقى الشّاعر على هذا النهج ولم يتغيّر، ولذا عدّه القوميون منهم وعدّه اليساريون منهم وعدّه الاكراد منهم بيد أنه مدرسة سياسية إنسانية متميّزة، وبين عينيه عنوان الثورة، وعنوان الظلم، وعنوان القوميّة، وعنوان المسلمين (فلسطين المحتلة)، وقال بعد فراق فلسطين وهو في دمشق في قصيدته (إليأس المنشود أو فلسطين بين العرب والصهاينة) عام١٩٤٧ م:

يا نادِبينَ (فِلَسطينا) وعِندَهُمُ عِلّمٌ بأنَّ القضاءَ الحتمَ قد وَقَعا

كفَى بما فاتَ مما سمِّيَت أملاً من الحُلول التي كيلت لكُم خُدعا[١٠٠]

ولكن بعد ثلاث سنوات من ذلك التاريخ قامت الحرب عام ١٩٤٨، ودخلت الجيوش العربيّة فلسطين، واشتدّ رحى المعارك بينها، وبين العصابات الصهيونيّة، فكتب قصيدته (فلسطين) التي يحث فيها المجاهدين على نجّدة فلسطين وشعبها فيقول:

حماةَ الدّارِ لم تَتْركْ لشعري فِلَسطينٌ سوى كَلِمٍ مُعادِ

بَكيتُ مصابَها يَفعَاً ووافَتْ نِهايَتها وخَمسونٌ عدادي

قدحتُ لها رويّاً من زِنادي وصُغتُ لها رَّويّاً من فؤادي[١٠١]

وفي عام ١٩٥١ دُعي الجواهري إلى مصر للمشاركة في المؤتمر الثقافي الذي أقامته الجامعة العربية فألقى قصيدته (إلى الشعب المصري) ومنها:

يا مصرُ تستبِقُ الدهورُ وتعثُرُ والنيلُ يزخَر والمسَّلةُ تُزهرُ

وبنوكِ والتأريخُ في قصبيهما يتسابقان فيُصهِرونَ ويُصهِر[١٠٢]

وتأتي رحلته الثانية إلى مصر، وكانت الثورة الشعبية قد اشتعلت على الانكليز فتأتي قصيدة (الدم الغالي) التي نظمت في القاهرة عام ١٩٥١م:

خلّي الدَّمَ الغالي يسيلُ إنّ المُسيلَ هو القتيلُ

هذا الدَّمُ المطلولُ يُخ تصر الطريقُ به الطويل[١٠٣]

ثم يذكر مصر في قصيدة (ظلام) وهو في معتقل أبي غريب في ٣٠ / تشرين الثاني ١٩٥٢ بتهمة أنصار السلام العالمي إثر انتفاضة تشرين عام ١٩٥٢ وفيها:

ظلامٌ يفورُ ونجمٌ يغورْ وزنجيُ ليلٍ يُخيفُ الدهور

حَمُولٌ لثقلِ الدّياجي صَبُور كأنّ ثناياهُ عشُّ النُّسور[١٠٤]

وفي العام نفسه ١٩٥٦يكتب قصيدة (الجزائر):

ردّي علقمَ الموت لا تجزعي ولا ترهبي جمرةً المصرعِ

فما سُعِّرَتْ جَمراتُ الكفا حِ لغير خليقٍ بها أروع[١٠٥]

و يتذكر فارصوفيا في عام ١٩٦٣م وهي تنهض من تحت الرماد بحلّتها البديعة:

فرصوفيا: والدم يستبقي مدى الدهر دماً والموت بالعزّة يبني لحياةٍ سُلّما

فرصوفيا: أمسِ رأيتُ الحَجرَ المكوَّما كان جنيناً وفؤاداً ويداً ومِعصَما[١٠٦]

وله قصيدة في حرب ١٩٦٧:

دع الطوارق كالأتون تحتدم وخلّها كحبيك النسج تلتحم

وخذ مكانك منها غيرَ مكترث دَهْدَى بك الموجُ أو علّت بك القِمَم[١٠٧]

ويعود من براغ إلى بغداد بدعوة من عماش فيكتب (براغ أو حوار) في ١٩٦٨م:

أطلتُ الشوط من عمري أطال الله من عمرك

ولا بلّغت بالشر ولا بالسوء من خبرك

حسوتُ الخمر من نهرك وذقت الحلوَّ من ثمرك

وغنتني صوادح النشاوى من ندى سحرك[١٠٨]

فيقول في قصيدة (يا ابن الفراتين) التي كتبها عام ١٩٦٩:

دعوا إلى الوحدة الكبرى فقلت لهم نذرٌ لذلك مني الروحُ والجسدُ

خمسينَ ظَلْتُ أغنيها كما نَغمت أمُ الوليدِ يناغي عندها الولدُ

ولا مباهاةَ، أهلي كلُّهم رَضَعوا منها اللُّبان وفي أحشائها لُحِدوا

فإن سألتَ فعن شوقٍ لموعدها كعاطش يبتغي وِرداً فلا يجدُ

هاتُوا بها علَّ أن يَستصلحَ الجسدُ فقد تقطَّع عن أنياطهِ الكَبِدُ

ففي فلسطينَ خيلُ الرجس مُحكمَةٌ رباطها وببيتِ (المقدس) الوتدُ[١٠٩]

ومن الأثمان التي دفعها الشّاعر من غير الاعتقال، والمطاردة، وقطع الرزّق. الغربة في ربوع الدنيا شرقاً وغرباً، ومنها بيروت ودمشق والقاهرة وباريس ولندن و براغالتي مكث الجواهري فيها قرابة سبع سنوات، كتب خلالها أجمل قصائده.

فمع الوصف والوجدانيات، نجد تأريخاً، وسياسة ووثائقَ، ومواقفَ، ورؤى يبثها

الشاعر دونحدود، أو أطر، وبتداخل دائم بين الذاتية، والموضوعية بين الخيال والخطابية بين هيجان الروح، والواقع... وهكذا نجد أكثر من بيت قصيد في القصيدة الواحدة، وأكثر من موقف يستوقف الدارسين. ومن شواهدنا على ذلك نونية الجواهري في عدن، حين زارها عام ١٩٨١ بدعوة من القيادات السياسية، والثقافية في جمهورية جنوب اليمن آنذاك... وقد كان في حينها مقيماً مغترباً عن بلاده في براغ عاصمة التشيك (موطن الثلج) بحسب القصيدة ذاتها:

من موطنِ الثّلجِ زحّافاً إلى عَدَن خَبّتْ بيَ الرّيحُ في مُهرٍ بلارَسَنِ
كاسي على صهوةٍ منه يُصفّقُها ما قيّضَ اللّهُ لي مِن خَلقهِ الحَسَن
من موطن الثّلج من خُضر العيون به لِموطنِ السّمْرِ، من سَمراءِ ذي يَزَن
من كُلِّ مُلتَفّةِ الكشحين ناعِمةٍ مَيّادةٍ مِثلِ غُصنِ البانَةِ اللّدِن
يا للتّصابي ألا يَنفكّ يَجذُبُني، على الثّمانينَ جَذبَ النّوقِ بالعَطَن
قالوا أما تَنتَشي إلا على خَطَرٍ فقلتُ ذلك مِن لَهوي ومندَ دَني
سبحانَ من ألّفَ الضّدّينِ في خَلَدي، فَرطَ الشّجاعَةِ، في فَرطٍ من الجُبُن
لا أتقي خَزَراتِ الذّئبِ تَرصُدُني، وأتّقي نظراتِ الأدعَجِ الشّسدن(١١٠)

النتيجة:

إنَّ شِّعر الجواهري وثيقةٌ وتأريخ، وبما أنّ الأدب هو جوهر التأريخ، نقرأ بين طياته أحداث، وثقافة، وفكر، ونضال العراق الحديث، والمنطقة العربية، وصولات الشعوب الحيّة في مسيرتها نحو العدل والحريّة مرتقياً أعلى تطوّرات الواقعيّة متجاوزاً المذهب الرومانسي في عصره، ووثيقة الجواهري مُزجت بفنٍّ سامق وبلُغةٍ جزلة متينة. جمع بين الموضوعيّة، والجمال، مزج دمَهُ، وآلامَهُ، وانفعالاته بوروده وآماله، وأمانيه، أرّخَ، وشاركَ في صُنع الأحداث بذاتيّة، وموضوعيّة بتقريريّة وخيال فتفرّد الجواهري بفنّه، وتخلّدت أشّعارُه النابعة من خلجات قلبه، وروحه. وهو الذي صَرخ، وطالبَ بمشكلات العراق التي يأنُّ منها إلى اليوم. والسياسة والنضال هي التي ألهبت شّعر الجواهري، ورفعت من نقده اللّاذع، والموقف السياسي هو الذي جنى على الجواهري غريباً يجول بلدان العالم يهدر بقصيده،

وهو القائل بعد تأريخ طويل مُنفعل وصاخب:

أرح ركابَــك مــن أيــنٍ ومــن عثَــرِ كفاك جيلانِ محمولاً على خطرِ[١١١]

Abstract

The Poetry of Al-Jwahiri is a document and a history. Since literature is the essence of history, we can find within it events, culture, thought, struggle of modern Iraq and the Arab region and the attempts of the living peoples in its march towards justice and freedom taking the most sophisticated steps overcoming the romantic tendency during his era.

The document of Al-Jwahiri was mixed with an elevated art and a perfect well-formed language. He combined objectivity and aesthetics he also mixed his blood and pains, excitement with his carelessness as well as his hopes and wishes. He recorded history and participated in making history through subjective and objective methods. His poetry was imprinted in the imagination and thoughts of people.

It was Al-Jwahiri who called for solving the problems of Iraq which he suffered from till our time. Policy and struggle is what made his poetry a burning type of poetry and elevated his severe criticism and the political attitude is what made Al-Jwahiri an alienated loner wondering the countries of the world.

هوامش البحث

(١) الزنجاني، الشيخ عبد الكريم. دروس الفلسفة ،ج١، ٧٢-٧٥.
(٢) شرف، د. محمد جلال، محمد، د. علي عبد المعطي. الفكر السياسي في الإسلام، ١٩٣- ٢٤١.
(٣) ابن ابي الربيع. الفلسفة السياسية،٥٤.
(٤) لجنة من العلماء السوفياتيين. بأشراف: م٠روزنتال، ب٠ يودين. ترجمة: سمير كرم. الموسوعة الفلسفية، ٢٥٢.
(٥) ظ: غدنز، أنتوني. علم الاجتماع. ترجمة وتقديم: د٠ فايز الصياغ،٤٧.
ظ: احمد ، د٠ احمد كمال. القاهرة: قراءات في علم الاجتماع مكتبة الخانجي -، ١٩٧٧، ٥.
(٦) ظ:. حجازي، د٠ أحمد مجدي. علم اجتماع الأزمة- تحليل نقدي للنظرية الاجتماعية في مرحلتي الحداثة وما بعد الحداثة -، ٢٧.
ظ: محمد. د٠ مازن مرسول. سوسيولوجيا الازمة - المجتمع العراقي نموذجا، ٢٠.
ظ: الصياغ. د٠ فايز. علم الاجتماع. أنتوني غدنز. ترجمة وتقديم: المنظمة العربية للترجمة، ٤٧.
ظ: احمد، د٠ احمد كمال. قراءات في علم الاجتماع، ٥.
(٧) محمد. د٠ مازن مرسول. سوسيولوجيا الازمة. ٤٥.
(٨) جبرا، جبرا إبراهيم. محمد مهدي الجواهري - الشاعر والحاكم والمدينة - النار والجوهر، ٩.
(٩) الجواهري. ذكرياتي. ج١، ٣٦٢.
ظ: الرصافي، معروف. الأعمال الشعرية الكاملة، ٣٧٤.
(١٠) القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب ت ١٧٠ هـ. جمهرة أشعار العرب ، ١١٧.
ظ: النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (٦٧٧ - ٧٣٣ م). نهاية الأرب في فنون الأدب،ج١٥٢،٢٠.
(١١) القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب ت ١٧٠ هـ. جمهرة أشعار العرب ، ٨٣.
ظ: الحموي. تقي الدين علي بن محمد ت ٨٣٧هـ خزانة الأدب وغاية الأرب، لا تاريخ، ١٩٢.
(١٢) طماش، حمدو. ديوان النابغة الذبياني، ص ٤١.
ظ - ابن قتيبة. الشعر والشعراء، ج١، ١٦٤.
ظ: - القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب ت ١٧٠ هـ. جمهرة أشعار العرب ، ٢٨.
(١٣) الأصفهاني، أبو فرج ت ٣٥٦هـ. الأغاني، ج١٠، ٤٤٩.
(١٤) الجاحظ، أبو عثمان بن بحر بن محبوب ت ٢٥٥هـ . البيان والتبيين، ص ١٤٧.
(١٥) الجواهري. ذكرياتي. ص ٦٧.
(١٦) سميسم، علي. المجاهد الجزائري على صفحات الادب، ص ١٣.
(١٧) الجواهري، محمد مهدي. ديوان الجواهري. ج١،ص٩٩ وما بعدها.
(١٨) الجيوسي، د.سلمى الحضراء. الشعر العربي المعاصر وطوره ومستقبله، ص١٩.

(١٩) عباس، عدنان. الظاهرة الجواهرية: الأصالة والرسوخ. في ضمن الجواهري مسيرة قرن. د٠ خيال محمد مهدي الجواهري، ص٣٢٩.
(٢٠) الحاج، د. عزيز. الجواهري ذلك المتمرد الرمز لم نخلق له، في ضمن الجواهري مسيرة قرن، د٠ خيال محمد مهدي الجواهري، ص٨٩.
(٢١) الجواهري. ذكرياتي، ج١، ص٢٦٦.
(٢٢) الجواهري. ديوان الجواهري، ج٤، ص ٩٣.
(٢٣) الجواهري. ذكرياتي، ج٢، ١٢١- ١٢٣.
(٢٤) السامرائي ، إبراهيم. كلمات قديمة لمعان حديثة، في ضمّن الجواهري مسيرة قرن، د٠ خيال محمد مهدي الجواهري.، ٢٨٤.
(٢٥) جبرا، جبرا ابراهيم. محمد مهدي الجواهري (الشاعر والحاكم والمدينة) النار والجوهر.، ص٩.
(٢٦) الطريفي، يوسف عطا. محمد مهدي الجواهري- حياته وشعره، ص٢٠.
(٢٧) الطريفي، يوسف عطا. الجواهري حياته وشعره، ص٢٨.
(٢٨) الجواهري، محمد مهدي. ذكرياتي، ج١ ،٣٣٣.
(٢٩) الجواهري. ديوان الجواهري، ج٢، ص٣١٧.
(٣٠) الجواهري. ذكرياتي، ج١، ص ٣٨١.
(٣١) الجواهري. ديوان الجواهري، ج٢، ص٨٥.
(٣٢) عبد الحميد، شاكر. الفكاهة والضحك.، ص٤٧.
(٣٣) م. ن، ص ٦٩.
(٣٤) التي نظمت أواخر عام ١٩٢٧ لتكون فاتحة ديوانه الذي انتهى طبعه في اوائل عام ١٩٢٨.
(٣٥) الجواهري. ديوان الجواهري، ج١، ص٤٢٧.
(٣٦) نشرت في جريدة العراق في ٢٦ آب ١٩٢٩.
(٣٧) الجواهري. ديوان الجواهري، ج١، ص٤٦٧ ،ص٤٦٩.
(٣٨) الدجيلي، عبد الكريم. الجواهري شاعر العربية ، ج١، ص٤٦٢.
(٣٩) م.ن، ص٢٩.
(٤٠) نشرت في جريدة العراق في ١٨ تشرين الاول ١٩٢٩ بتوقيع (ابن سهل)
(٤١) الجواهري. ديوان الجواهري ، ج١،ص ٤٧٩.
(٤٢) نظمت عام ١٩٢٩ عندما زار سامراء لأول مرة
(٤٣) الجواهري. ديوان الجواهري، ج١،ص ٤٨٥،ص ٤٨٦.
(٤٤) التي نُشرت في جريدة العراق في ٢٣ تشرين الاول ١٩٢٩ بعنوان (صبابة شاعر) وبتوقيع (ابن سهل)
(٤٥) الجواهري. ديوان الجواهري. ج١،ص ٤٩١.
(٤٦) نشرت في جريدة الفرات في ٧ آيار ١٩٣٠

(٤٧) الجواهري. ديوان الجواهري، ج٢،ص ١٩، ص٢٠.
(٤٨) نظمت عام ١٩٣٢ ونشرت في ط٣٥ بعنوان (من الادب المكشوف... عريانة!)
(٤٩) الجواهري. ديوان الجواهري، ج٢، ص١١٣.
(٥٠) نشرت في جريدة الاصلاح في ١٢ تشرين الاول ١٩٣٥
ظ: الجواهري. ديوان الجواهري. ج٢. ص٢٦٥،ص ٢٦٦.
(٥١) نصيات. هيو. ج. سلفرمان. المركزالثقافي العربي - بيروت. ٢٠٠٢م، ٦
(٥٢) الطبري. تاريخ الطبري، ج٥ ، ص ٣٨٤ .
(٥٣) يقال: إن طرفة كان مع عمه في سفر وهو ابن سبع سنين، فنزلوا على ماء، فذهب طرفة بفخ له، فنصبه للقنابر، وبقي عامة يومه لم يصد شيئا، ثم حمل فخه وعاد إلى عمه، فحملوا ورحلوا من ذلك المكان، فرأى القنابر يلتقطن مانثر لهن من الحب، فقال ذلك:
يا لك من قنبرة بمعمر ❖ خلا لك البر فبيضي واصفري ❖ ونقري ما شئت أن تنقري
ظ: طرفة بن العبد. ملحق ديوان طرفة، ص ١٩٣.
(٥٤) الكتبي، صلاح الدين محمد بن شاكر ت ٧٦٤هـ. فوات الوفيات. تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ١٩٧٣م، ج٣، ص ٣٨.
(٥٥) نظمت عام ١٩٤٥، ونشرت، أوّل مرة في جريدة (الرأي العام) العدد: ١٤٨٤، في ٢٤ آذار ١٩٤٦م.
(٥٦) الأحمد، نهلة فيصل . التفاعل النصي، ص٢٨٧.
(٥٧) الجواهري. ديوان الجواهري، ج٣،ص ١٢١،ص ١٢٦.
(٥٨) الجواهري. ديوان الجواهري،ج٣، ص١٢٦.
(٥٩) العاتي ، د. إبراهيم. سيد النخيل المقفي، ص٢٨٥.
(٦٠) مقابلة للكاتب زهير الجزائري مع الجواهري نشرت في جريدة الحياة ١٤ مايو/ أيار ١٩٩١
(٦١) بطاطو، حنا. العراق،ص ٣٨١.
(٦٢) الجواهري. ديوان الجواهري، ج٤،ص ٩٢،ص ٩٧،ص ١٠١.
(٦٣) الجواهري. ديوان الجواهري. ج٣. ص٢٧٣.
(٦٤) م. ن. ج٤، ص ٧٣.
(٦٥) م. ن. ج٣، ص ٤٠٧.
(٦٦) م. ن. ج٤، ص ١٢٧.
(٦٧) الدرويش ، د. محمود جاسم محمد. ابن خالويه وجهوده في اللغة مع تحقيق كتاب شرح مقصورة ابن دريد، ص١٩٩٠.
(٦٨) السقا ، مصطفى، الابياري، ابراهيم، شلبي، عبد الحفيظ. ديوان ابي الطيب المتنبي - بشرحابي البكاء العكبري - المسمى بالتبيان في شرح الديوان، ج ١،ص ١٩٥٦.
(٦٩) الشريف الرضي. ديوان الشريف الرضي.

(٧٠) غزوان. د. عناد. أسفار في النقد والترجمة، ص٣٥.
(٧١) الجواهري. ديوان الجواهري، ج٣، ص ٢٠٣،ص ٢٠٥.
(٧٢) الجواهري. ديوان الجواهري، ج١، ص ٤٩٧، ٤٩٨.
(٧٣) م. ن. ج٣، ص ٤٠١.
(٧٤) بطاطو، حنا. العراق.، ص٣٨٣.
(٧٥) بعد الحرب العالمية الثانية وجدت بريطانيا نفسها في وضع جديد وأصبحت تابعة اقتصاديا للولايات المتحدة فكانت تفكر في مصالحها مع الشرق الأوسط ومع لعراق خاصة وكانت الحكومة العراقية متحالفة مع بريطانيا تسعى إلى الحفاظ على علاقاتها معها. عملت بريطانيا على إبرام معاهدة تضمن لها الكثير من الامتيازات في العراق والشرق والأوسط وذلك بتعديل معاهدة ١٩٣٠ المرفوضة، فعمدت بعد استقالة وزارة أرشد العمري إلى إسناد الوزارة الجديدة إلى نوري السعيد ليفتح الطريق أمام صالح جبر الذي تسلم الوزارة في تلك الفترة ليقوم بتنفيذ السياسة المرسومة من قبلها وكانت تجري في الخفاء ولما لم يتقبل الشارع العراقي إبرام معاهدة مع المحتل طلبت بريطانيا من نوري السعيد تقديم استقالته وإيكال المهمة إلى صالح جبر لإيهام المرجعيات بالورقة الطائفية إلا أن ذلك لم ينجح أيضا بفضل حنكة المرجعية الدينية فقوبلت حكومة جبر بمعارضة شاملة من جميع الحركات الوطنية رغم الأساليب الشرسة التي استخدمت ضدهم من قبل الأجهزة القمعية التابعة للحكومة وتنفيذ حكم الإعدام بحق الضباط الأربعة. وكانت الشرارة الأولى في ٦ كانون الثاني / ١٩٤٨ عندما صُدِم الشعب العراقي بتصريحات فاضل الجمالي عضو الوفد العراقي المفاوض في لندن والتي جاء فيها إن الحكومة على وشك أن توقع معاهدة جديدة مع الحكومة البريطانية وإن هذه المعاهدة ستلاقي رضى وأستحسان الشعب العراقي فأثارت هذه التصريحات إستنكار جميع الأحزاب والقوى الوطنية وشكلت هذه الأحزاب فيما بينها لجنة سميت بلجنة التعاون الوطني أستعدادا" لمواجهة الأوضاع المقبلة. وهنا جاء هدير الطلبة الأكثر حماسا" وتضحية فخرج طلبة الكليات والمعاهد بتظاهرة سلمية تعبيرا" عن شعورهم الوطني وإستنكارا" لتصريحات فاضل الجمالي فأستعملت السلطة منتهى القسوة والأهانات ضدهم لكبت شعورهم وأوقفت عددا" كبيرا" منهم وعطلت الدراسة في جميع الكليات وعلى رغم من ذلك وقعت المعاهدة في ١٥كانون الثاني في ميناء بورتسموث البريطاني وعلى البارجة البريطانية فكتوريا وكانت تنص على السماح للجيوش البريطانية بدخول العراق كلما اشتبكت في حرب مع الشرق الأوسط (إيران) وكذلك حتمت المعاهدة ان يمد العراق هذه الجيوش بكل التسهيلات والمساعدات في أراضيه ومياهه وأجوائه مما أثار مشاعر أبناء الشعب وجميع القوى الوطنية ورافق ذلك تظاهرات صاخبة طافت شوارع بغداد متحدية قرار الحكومة بمنعها وحصلت مناوشات واشتباكات مع الشرطة سادت جميع محافظات البلد كانت فيها قصائد الجواهري تهز المشاعر الوطنية وتثير حماس المتظاهرين، فقام الوصي عبد الإله بطمأنة العراقيين ان تلك المعاهدة ليس فيها مساس (بالسيادة العراقية) لكن الشعب استمر بالتظاهر والمطالبة بإسقاط حكومة جبر الذي هدد

بالقضاء على جميع (الخارجين عن القانون) فقتل وجرح العديد من المتظاهرين من بينهم شقيق الشاعر (جعفر الجواهري).

(٧٦) هي أول قصائد وثبة كانون نُظمت أثر البيان الرسمي الذي صدر عن البلاط الملكي في ٢٨ كانون الثاني ١٩٤٨.

(٧٧) الجواهري. ديوان الجواهري،ج٣، ص٢٥١.

(٧٨) القاها مساء يوم ١٤ شباط ١٩٤٨ في الحفل الذي أقيم في جامع الحيدر خانة في بغداد لمناسبة مرور سبعة ايام لاستشهاد أخيه محمد جعفر الجواهري واخوانه من الشهداء في معركة الجسر الباسلة يوم ٢٧ كانون الثاني عام ١٩٤٨.

(٧٩) الجواهري، ديوان الجواهري، ج٣، ص٢٥٩.

(٨٠) نُظمت بمناسبة الذكرى الأربعينية لاستشهاد الشهيد(جعفر الجواهري) عام ١٩٤٨

(٨١) الجواهري. ديوان الجواهري، ج٣، ص ٢٦٩.

(٨٢) وهي من قصائد وثبة كانون عام ١٩٤٨، وهو قيس الآلوسي الذي استشهد مع أخيه جعفر

(٨٣) الجواهري. ديوان الجواهري، ج٣،ص ٢٨٧.

(٨٤) ظ: م. ن. ج٣،ص ٢٨٩.

(٨٥) ظ: م. ن. ج٣،ص ٢٩٩.

(٨٦) ظ: م. ن. ج٣.ص ٢٩١.

(٨٧) ميوميك،د. سي. المفارقة، ص٣٨.

(٨٨) ظ: الجواهري. ديوان الجواهري، ج٣، ص ٣٩٥،ص ٤٠١.

(٨٩) م. ن. ج٤، ص ٢١٧.

(٩٠) الجواهري. ديوان الجواهري، ج٥، ص ٤٧.

(٩١) قيل أن أمين الأعور، الذي كان صحافيا لبنانيا يساريا، قد كتب مقالا غاضبا إثْرَ الانقلاب العسكري في ٨ شباط ١٩٦٣، في العراق، يتساءل فيه كيف سُمح للوضع في العراق أن يصل الى ما وصل اليه.

ظ: jawahiricent@yahoo.com

(٩٢) الجواهري. ديوان الجواهري، ج٤،ص ١٩٦.

(٩٣) التكريتي ، سليم طه . مهدي الجواهري، ص ١٦.

(٩٤) الحاج ، د. عزيز . الجواهري ذلك المتمرد الرمز لم نخلق له، في ضمن الجواهري مسيرة قرن، د٠ خيال محمد مهدي الجواهري، ص ٨٨.

(٩٥) الجواهري. ذكرياتي ، ج١، ص ٤٢٢.

(٩٦) الجواهري. ديوان الجواهري، ج٤، ص ٣٩.

(٩٧) م. ن. ج٤،ص ٢٧٤.

(٩٨) الجواهري. ديوان الجواهري، ج١، ص٢٧٠، ص٢٧١.

(٩٩) م. ن، ج٣، ص ١٠٥، ص ١٠٦، ص ١٠٧.
(١٠٠) الجواهري. ديوان الجواهري، ج٣، ص ١٨٩.
(١٠١) م. ن. ج٣، ص٣٢١.
(١٠٢) م. ن. ج٤،ص ٢٥.
(١٠٣) الجواهري. ديوان الجواهري، ج٤، ص١٠٥.
(١٠٤) م. ن. ج٤،ص ١٤١.
(١٠٥) م. ن. ج٤،ص ٢٣٥.
(١٠٦) م. ن. ج٥،ص ٢١٨.
(١٠٧) م. ن. ج٥،ص ٢٥٣.
(١٠٨) الجواهري. ديوان الجواهري، ج٥، ص٢٨٥.
(١٠٩) م. ن. ج٥، ص٣٦٦.
(١١٠) الجواهري، د. كفاح، الجصاني، و رواء. الجواهري.، ص٦٨٤.
(١١١) ديوان الجواهري. ج٥، ٣١١.

قائمة المراجع والمصادر

١- ابن ابي الربيع. الفلسفة السياسية. بغداد: دار الاندلس، ١٩٨٠- ١٩٨١م.

٢- أحمد، د. احمد كمال. قراءات في علم الاجتماع. مكتبة الخانجي - القاهرة، ١٩٧٧.

٣- الأحمد، نهلة فيصل. التفاعل النصي. الرياض: مؤسسة اليمامة، ١٤٢٣هـ.

٤- الأصفهاني، أبو فرج ت ٣٥٦هـ. الأغاني. بيروت. الناشر: دار إحياء التراث العربي، لا تاريخ.

٥- بطاطو، حنا. العراق. ترجمة: عفيف الرزاز. ط١. تهران: منشورات فرصاد، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٦- التكريتي، سليم طه. مهدي الجواهري. بيروت: دار رياض الريس،لا تاريخ.

٧- الجاحظ، أبو عثمان بن بحر بن محبوب ت٢٥٥هـ. البيان والتبيين. تحفيف: فوزيعطوي.ط١. بيروت: مكتبة الطلاب وشركة الكتاب للبناني، لا تاريخ.

٨- جبرا، جبرا إبراهيم. محمد مهدي الجواهري - الشاعر والحاكم والمدينة - النار والجوهر. بيروت: دار القدس، ١٩٧٥.

٩- الجواهري، د. كفاح، الجصاني، رواء. الجواهري. دمشق: مؤسسة سندباد للطباعة والنشر، ٢٠١٢.

١٠- الجواهري، محمد مهدي. ديوان الجواهري. بغداد: نشرة وزارة الإعلام، ١٩٧٣.

١١- ----------. ذكرياتي. ط١. دمشق: دار الرافدين، ١٩٨٨م.

١٢- الجيوسي، د. سلمى الخضراء. الشعر العربي المعاصر وطوره ومستقبله. مجلة عالم الفكر المجلد الرابع العدد ٢٥.

١٣- الحاج، د. عزيز. الجواهري ذلك المتمرد الرمز لم نخلق له، في ضمن الجواهري مسيرة قرن، د. خيال محمد مهدي الجواهري. دمشق: منشورات وزارة الثقافة في سورية، ٢٠٠٤.

١٤- حجازي، د. أحمد مجدي. علم اجتماع الأزمة- تحليل نقدي للنظرية الاجتماعية في مرحلتي الحداثة وما بعد الحداثة -. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨.

١٥- الحموي، تقي الدين علي بن محمد ت ٨٣٧هـ. خزانة الأدب وغاية الأرب. بيروت: دار القاموس الحديث للطباعة والنشر، لا تاريخ.

١٦- الدجيلي، عبد الكريم. الجواهري شاعر العربية. مطبعة الآداب - النجف. ١٩٧٢م.

١٧- الدرويش،د. محمود جاسم محمد. ابن خالويه وجهوده في اللغة مع تحقيق كتاب شرح مقصورة ابن دريد. بغداد: دار الشؤون الثقافية - وزارة الثقافة والاعلام، ١٩٩٠.

١٨- الذبياني. ديوان النابغة الذبياني. اعتنى به: حمدو طماش. بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٣.

١٩- الرصافي، معروف. الأعمال الشعرية الكاملة. ط١. بيروت: دار العودة، ٢٠٠٠م.

٢٠- الرضي، الشريف. ديوان الشريف الرضي. بيروت: دار صادر، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.

٢١- الزنجاني، الشيخ عبد الكريم. دروس الفلسفة. ط٢. مطبعة الغري الحديثة - النجف،١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م.

٢٢- الكتبي، صلاح الدين محمد بن شاكر ت ٧٦٤هـ. فوات الوفيات، ج٣، ص ٣٨.

٢٣- السامرائي، إبراهيم. كلمات قديمة لمعان حديثة، في ضمّن الجواهري مسيرة قرن. د. خيال محمد مهدي الجواهري. دمشق: منشورات وزارة الثقافة في سورية،٢٠٠٤.غزوان، د. عناد. أسفار في النقد والترجمة. بغداد: مطبعة الحياة، ٢٠٠٦م.

٢٤- سلفرمان، هيو. ج.. نصيات. بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٢م

٢٥- سميسم، علي. المجاهد الجزائري على صفحات الأدب. لا مكان: لا تاريخ.

٢٦- شرف، د. محمد جلال، محمد، و د. علي عبد المعطي. مصر: الفكر السياسي في الإسلام. منشورات دار الجامعات المصرية - الإسكندرية، ١٩٧٨.

٢٧- الطبري، تاريخ الطبري.محمد بن جرير ت ٣١٠هـ. دار المعارف - القاهرة، ١٩٦٨م.

٢٨- الطريفي، يوسف عطا. محمد مهدي الجواهري- حياته وشعره. ط ٢. عمان: الاهلية للنشر والتوزيع ٢٠١٢.

٢٩- العاتي، د. إبراهيم. سيد النخيلا لمقفي. المكتبة الأدبية المختصة- قم، ١٤١٨هـ.

٣٠- عباس، عدنان. الظاهرة الجواهرية: الأصالة والرسوخ، في ضمن الجواهري مسيرة قرن، د. خيال محمد مهدي الجواهري. دمشق: منشورات وزارة الثقافة في سورية، ٢٠٠٤.

٣١- عبد الحميد، شاكر. الفكاهة والضحك. الكويت: عالم المعرفة،٢٠٠٣م.

٣٢- العكبري: ابي البكاء. ديوان ابي الطيب المتنبي - المسمى بالتبيان في شرح الديوان -. ضبط وصححه ووضع فهارسه :مصطفى السقا، ابراهيم الابياري، عبد الحفيظ شلبي. ط٢. القاهرة: لا مطبعة، ١٩٥٦.

٣٣- غدنز، أنتوني. علم الاجتماع. ترجمة وتقديم: د. فايز الصياغ. ط١. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٥.

٣٤- القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب ت ١٧٠ هـ. جمهرة أشعار العرب. ط٢. بيروت: دار المسيرة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٣٥- لجنة من العلماء السوفياتيين. بأشراف: م. روزنتال. ب. يودين. ترجمة: سمير كرم. الموسوعة الفلسفية. ط٥. بيروت: دار الطليعة،١٩٨٥م.

٣٦- محمد، د. مازن مرسول. سوسيولوجيا الازمة - المجتمع العراقي نموذجا. ط١.بيروت: مؤسسة العارف للمطبوعات،١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٣٧- مقابلة للكاتب زهير الجزائري معال جواهري نشرت في جريدة الحياة ١٤ مايو/ أيار ١٩٩١.

٣٨- ميوميك، د. سي. المفارقة. ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة. بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٢م.

٣٩- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (٦٧٧ - ٧٣٣ م).نهاية الأرب في فنون الأدب. مصر: طابع: كوستاتسوماس وشركاؤه. الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، لا تاريخ.